الشائعات
(خطرها، وطرق الحد من آثارها)
(في ضوء الهدي النبوي)

د. عبد الناصر محمد قايد على الصانع*

المخلص:

يتناول هذا البحث بيان حقيقة الشائعة، وبيان جملة من الأسباب والدواعي والأغراض التي تكون وراء ترويج الشائعات، وجملة من العوامل التي تساعد على اتساع نطاقها ، وبيان جملة من الآثار السيئة التي تتركها الشائعات على الأفراد والمجتمعات والجماعات .

ثم تناول البحث بالبيان المنهج الصحيح في التعامل مع الشائعات في ضوء الهدي النبوي الراشد، من خلال ضرب نماذج من الشائعات التي انتشرت في زمن الوحي، وكيف تعامل النبي ﷺ مع تلك الشائعات ليخرج منها بأقل الخسائر، وكذلك من خلال التوجيهات والإرشادات النبوية التي تتعلق بهذا الموضوع .

وأكد الباحث في ختام بحثه على أمرين مهمين:

الأول: وجوب التثبت من كل ما يصل إلى السمع، عملا بالأدلة التي توجب التثبت، فبئس مطية الرجل زعموا.

والثاني: يكون بعد التأكد من صحة الخبر ووثوق مصدره، وهو النظر في المصلحة من نشره أو عدم نشره، فليس كل ما يُعلم يقال، وقد تكون المصلحة في كتمانه وطيه وعدم نشره، والشريعة جاءت لجلب المصالح وتكثيرها، ودرء المفاسد وتقليلها.

* أستاذ مشارك – قسم علوم القرآن والدراسات الإسلامية – كلية الآداب– جامعة إب .

مقدمة

الحمد لله الصادق في قيله، والعدل في أحكامه: " وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ " [الأنعام: 115]، والصلاة والسلام على من كان الصدق له علامة، والأمانة له ديانة، ورضي الله عن آله وأصحابه الكرام الموصوفين في محكم البيان بالصدق والفلاح والموعودين بالرضا من الله والرضوان: " مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا " [الأحزاب: 23]، ونسأل الله أن يرزقنا حبهم، والسير على طريقتهم، والاقتفاء لآثارهم، وأن يحشرنا في زمرتهم مع نبينا محمد ﷺ، أما بعد:

إن مما ابتلي به الناس اليوم أن الأخبار و الشائعات أصبحت تُنقل على ألسن بعضهم، وأقلامهم من غير تثبت ولا رويَّة، خاصة مع تنوع وسائل الاتصال والإعلام السمعية والبصرية التي أصبحت لذلك مطية.

فما أكثر ما يُنشر على بعض القنوات الفضائية، والجرائد اليومية، والمجلات الأسبوعية والشهرية، والشبكات، ومواقع التواصل الاجتماعي مما لا أصل له، وإنما هو كذب قد يراد به إحداث الفتن والاضطرابات في المجتمعات الإسلامية، والتحريض على الفتنة، وتوسيع هوة الخلاف بين أبناء الشعب الواحد، والقبيلة أو الجماعة الواحدة، أو بين أبناء الدول الإسلامية، وعلى المستويات كلها، وعندما تختلط الأمور؛ وتكثر الحوادث والفتن، وتتنوع المشكلات تتطلع النفوس إلى استكشاف الحقائق، وذلك أمر طبعي لملء الفراغ النفسي، وإشباع تلك الحاجة الفطرية فيكون الحرص على متابعة مصادر الأخبار، وهذه الحاجة كثيراً ما يستغلها أصحاب المطامع لتنفيذ مآربهم؛ فينشرون في وسائلهم الإعلامية أخباراً كاذبة؛ وتحليلات باطلة لكسب ما يرجون الوصول إليه؛ فيتلقَّف تلك الأخبار والتحليلات أناس لا حظ لهم في علم ولا فهم؛ فيبنون عليها آراءهم؛ وينسجون عليها مواقفهم؛ بل قد يصل الحال بهم إلى أن يُوالوا ويُعادوا بناء على تلك الأخبار، والتحليلات المغرضة. إن هذه الشائعات التي لا يُعرف صحيحها من سقيمها لم يُصبح نشرُها -للأسف- قاصرا على فئة معينة من عامة الناس، بل الذي يُحزن المؤمن أكثر عندما يرى أن ممن يسهم في نقلها أيضا بعض الأخيار الصالحين.

ومن المتفق عليه أن المسلمين اليوم يواجهون غزواً ثقافياً وفكرياً وحضارياً يطال كل جوانب حياتهم كلها، ولم يعد هذا الغزو الشامل مقتصراً على الوسائل التقليدية للغزو الفكري، بل أضحت الرسالة الغازية تعبُرُ إلى الأجيال والعقول عن طريق الخبر الذي تبثّه وكالات الأنباء، والتحليل السياسي أو الاجتماعي الذي تكتبه الصحيفة، وعن طريق الصورة التي ترسلها الوكالات الفضائية المصوَّرة.. وهذا الغزو يعمل على زعزعة مبادئ الإسلام وقيمه، وهدم أخلاقياته ومُثله في نفوس أبناء المسلمين لينشأوا في غربة عن دينهم وحضارتهم وتراثهم.

وإذا علمنا ذلك سندرك خطورة تصديق ما ينشر ويتداول في وسائل الإعلام بدون تثبت أو روية.

إذن فنحن أمام حرب (قديمة – جديدة) اسمها (حرب الشائعات) إلا أنها في وقتنا الحاضر لها مداها؛ بسبب الثورة الإعلامية التي يعيشها العالم اليوم، وهذه الحرب لها أثر كبير، وخطر شديد في تشكيل العلاقة بين أبناء البلد الواحد، وصناعة العلاقات بين الدول، وهي حرب نفسية، قد تكون تمهيدا لما بعدها من الحروب التي تنوعت اليوم وتعددت.

إن الشائعات من أخطر الآفات المدمرة للمجتمع، فكم من شائعات جنت على أبرياء، وكم من شائعات أشعلت نار الفتنة بين قبائل وأحزاب وجماعات وشعوب ودول وكم من شائعة أدت إلى إزهاق الأنفس البريئة، أو إلى وحشة وقطيعة، أو إتلاف أموال معصومة، وكم من شائعات نالت من علماء وعظماء. والوقوع في مثل هذا الخطأ والانحراف ناتج عن البعد عن المنهج النبوي الراشد، وامتثال توجيهاته في مثل هذه النوازل، ولو عمل الناس بمقتضى هدي سيد المرسلين ﷺ لتجنبوا شرا كثيرا، وصلحت أحوالهم في عاجل أمرهم وآجله، ولسلموا من أن يكونوا مصدراً من مصادر الشائعات، أو مطية لمرورها على ألسنتهم أو بأقلامهم أو بأطراف أناملهم.

وقد كان موقف الإسلام حاسما حازما قويا من الشائعات ومروجيها لما يترتب عليها من آثار سلبية تزلزل كيان المجتمع وتؤثر على تماسكه وتلاحم أبنائه كما سيتضح من خلال الأسطر القادمة.

ونظراً إلى أهمية الموضوع وخطورته، وحاجتنا إلى التذكير به، فقد رأيت أن أسهم في عرض هذه المشكلة وعلاجها من خلال الهدي النبوي الراشد، الذي جاء بالوحيين الكتاب والسنة، في هذا البحث.

ومما يبرز أهمية الموضوع إضافة إلى ما سبق:

- كثرة النصوص المتعلقة بالموضوع تصريحا، أو إشارة، تحذيرا من الشائعات وبيانا لخطرها، وتوضيحا للمنهج الواجب التزامه نحوها.
- كثرة الشائعات في هذه الأيام بسبب فتنة الحزبية والاختلاف والاقتال الدائر بين أطراف مختلفة في البلاد، وكثرة من يتأثر بهذه الشائعات، وسرعة انتشارها وتصديقها بين الناس وتداولها.
- ضعف التزام المسلمين اليوم بأخلاقيات الإسلام والآداب الشرعية لا سيما في باب التعامل مع الشائعات، وقد يكون ذلك عن جهل منهم بخطورة ما يفعلونه، فضلا عن الغفلة عن مخططات الأعداء التي تستهدفهم.
- خطر الشائعات، وسوء أثرها على الفرد والجماعة، مما يوجب التنبيه على ذلك للعلم والحذر،

لأجل ذلك كان هذا الجهد المتواضع إسهاما في إبراز بعض هذه الأخلاقيات والتوجيهات والآداب علها تنير الطريق أمام المسلمين وتبصِّرهم بمدى الخطورة المترتبة على تصديق الشائعات ونشرها وإشاعتها.

وقد حاولت الاختصار قدر الإمكان، فعزوت الآيات إلى سورها في صلب البحث، وخرجت الأحاديث تخريجا مناسبا وبينت الحكم على كل حديث من كلام أهل العلم، ولم أتعرض لتراجم الأعلام و البلدان إيثارا للاختصار، **وقد جاءت خطة البحث مختصرة -بعد المقدمة- في المباحث الآتية:**

المبحث الأول: تعريف الشائعة لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: التحذير من الشائعات والترهيب من تصديقها وترويجها.

المبحث الثالث: أسباب انتشار الشائعات.

المبحث الرابع: نماذج من الشائعات وبيان بعض آثارها.

المبحث الخامس: المنهج النبوي في التعامل مع الشائعات والحد من آثارها.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: تعريف الشائعة

أولاً في اللغة: شائِعة مفرد: والجمع شائعات وشوائِعُ. قال ابن فارس: الشين والياء والعين أصلان، يدلُّ أحدُهما على معاضدة ومساعفة، والآخر على بَثٍّ وإشادة... وأما الآخر فقولهم: شاع الحديث، إذا ذاع وانتشر. [ومنه حديث: "أيُّما رجلٍ أشاعَ على رجل عَورةً ليَشينَه بها"[1] أي أظْهَر عليه ما يَعِيبُه، يقال: شاعَ الحديثُ وأشاعه إذا ظهر وأظهَرَه][2]. ويقال شَيَّع الراعي إبلَه إذا صاح فيها، والاسم الشِّيَاع، وهي القصبة التي ينفُخُ فيها الراعي وهي أيضاً (النداء والبوق يدعى به).. ومن الباب قولهم في ذلك: له سهم شائع، إذا كان غير مقسومٍ، وكأنَّ من له سهمٌ ونَصِيب انتشرَ في السَّهم حتَّى أخذه، كما يَشِيعُ الحديثُ في الناس فيأخذ سَمع كلِّ أحد، ومن هذا الباب: شيَّعت النّارَ في الحطب، إذا ألهَبْتَها..[3].

وأَشاعَ الخبر، أي أذاعه (وأظهره ونشره)، فهو رجلٌ مِشْياعٌ، أي مِذياعٌ، وأشاع بالقوم: نادى وصاح، والشائع: المنتشر، والشائعة: الخبر ينتشر غير متثبت منه[4].

ثانيا في الاصطلاح: ظهر أن الشائعة في اللغة هي الإظهار والنشر، وذلك يصْدُق على ما هو صدق أو كذب، ولكن العرف قصرها على الأخبار التي لم يثبت صدقها بعد، ويقال لها: الأراجيف، واحدها إرجاف، وأصل الرَّجف الحركة والاضطراب[5]، والشائعة فيها هذا المعنى، وقد قال الله تعالى: "لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا. مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا" [الأحزاب:60، 61]، والمرجفون هم الذي يقولون: "جاء الأعداء"، و"جاءت الحروب"، وهو كذب وافتراء[6].

قال السعدي في تفسيره: المخوفون المرهبون الأعداء، المتحدثون بكثرتهم وقوتهم، وضعف المسلمين، ولم يذكر المعمول الذي ينتهون عنه ليعم ذلك، كل ما توحي به أنفسهم إليهم، وتوسوس به، وتدعو إليه من الشر، من التعريض بسب الإسلام وأهله، والإرجاف بالمسلمين، وتوهين قواهم، والتعرض للمؤمنات بالسوء والفاحشة، وغير ذلك من المعاصي الصادرة، من أمثال هؤلاء[7].

وتُعرف الشائعة في الاصطلاح بتعريفات كثيرة متقاربة، ومن أحسن ما تعرف به: أنها المعلومات أو الأفكار التي يتناقلها الناس، دون أن تستند إلى مصدر موثوق يشهد بصحتها، أو الترويج لخبر مختلق لا أساس له من الواقع، أو يحتوي على جزء ضئيل من الحقيقة.

ويظهر من التعريف أن للشائعة صوراً:

- قد تكون الشائعة خبراً لا أساس له من الصحة، ولكن نُشر وتداوله لناس على أنه حقيقة.
- أو خبراً صحيحا أضيفت إليه معلومات غير صحيحة.
- أو خبراً صحيحا حصل فيه تهويل، وأُظهر على غير حقيقته.
- أو خبراً صحيحا، لكن عُلِّق عليه أو فُسر أو حُلل بطريقة مغايرة لحقيقته لغرض ما..[8].

وبين إشاعة، وشائعة فرق لطيف:

فـ**"الإشاعة"** مصدر من الفعل **"أشاع"** وتعني إذاعة الخبر وإفشاءه بين الناس، وكلمة **"شائعة"** اسم فاعل من **"شاع"** بمعنى ذاع وانتشر، والفعل **"أشاع"** نسب إلى فاعل، بينما الفعل **"شاع"** أسند الفعل إلى الشائعة نفسها، وقد يكون في الفعل: **"أشاع"** من معنى القصد والتعمد في نشر الخبر ما ليس في الفعل "شاع"، والله أعلم.

قال في لسان العرب: شاع الخبر في الناس... انتشر وافترق وذاع وظهر، وأشاعه هو، وأشاع ذكر الشيء أطاره وأظهره[9]. ويقال: الإشاعة هي تضخيم للأخبار الصغيرة، وإظهارها بصورة تختلف عن صورتها الحقيقية، فهي إذن أخبار موجودة، لكن إظهارها بصورة مختلفة عن حقيقتها بالتهويل والتعظيم أصبحت "إشاعة".

أمّا "الشائعة" فهي أقوال أو أخبار أو أحاديث انتشرت بين الناس، فتناقلوها دون تثبت من صحتها، ودون التحقق من صدقها، أمّا إذا قلنا: "هذا خبر شائع" فسيكون على معناها اللغوي، أي ذائع منتشر[10].

المطلب الثاني: التحذير من الشائعات والترهيب من تصديقها وترويجها

ورد التحذير من الشائعات في نصوص كثيرة، نسوق منها ما يأتي:

أولاً: مما ورد في القرآن الكريم في التحذير من الشائعات

1- يؤكد الشرع ضرورة التثبت والتبين من الأخبار والروايات التي تتناقلها الألسن، ويصف مروجي الشائعات بالفسق، فقال تعالى: **"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ"** [الحجرات: 6]، قرأ الجمهور: **"فتبينوا"** من التبين، وقرأ حمزة والكسائي وخلف: **"فتثبتوا"** من التثبت[11].

ومعنى القراءتين واحد، فالمراد من التبين التعرف والتفحص، ومن التثبت الأناة وعدم العجلة، والتبصر في الأمر الواقع والخبر الوارد حتى يتضح وحتى تظهر الحقيقة فيما أنبأ به الفاسق، ولا تقتصروا على خبره كراهة أن تصيبوا قوماً بجهالة، فقوله تعالى: **"أَن تُصِيبُواْ قَوْمَا"** أي: لئلا تصيبوا قوماً، أو كراهة أن تصيبوا قوماً **"بجهالة"** والجهالة هنا هي: أن يجهل حال القوم، لأن الخطأ ممن لم يتبين الأمر ولم يثبت فيه هو جهالة، لأنه لم يصدر عن علم.

وقوله تعالى: **"فتصبحوا على ما فعلتم نادمين"**، فإذا قذفتم هؤلاء القوم البرآء مما هم برآء منه بغية أذيتهم بجهالة، لاعتقادكم أنهم يستحقون ذلك طبقاً لخبر الفاسق، ثم يظهر لكم عدم استحقاقهم، فهذه الإصابة وهذه الأذية تجعلكم **"تُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ"**، يعني: على ما فعلتم من العجلة وترك التأني ، نادمين لظهور كذب الفاسق فيما أنبأ به عنهم ، وستندمون على إصابتكم إياهم بالجناية التي تصيبونهم بها [12].

وقد رُوي في سبب نزول هذه الآية حديث عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ قد بعث الوليد بن عقبة بن أبى معيط إلى بنى المصطلق ليأخذ منهم الصدقات، وإنه لما أتاهم الخبر فرحوا وخرجوا ليتلقوا رسولَ رسولِ الله ﷺ وإنه لما حدث الوليد أنهم خرجوا يتلقونه رجع إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله إن بنى المصطلق قد منعوا الصدقة، فغضب رسول الله ﷺ من ذلك غضبا شديدا فبينما هو يحدث نفسه أن يغزوهم إذ أتاه الوفد، فقالوا: يا رسول الله، إنا حدثنا أن رسولك رجع من نصف الطريق، وإنا خشينا أن يكون إنما رده كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا، وإنا نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، وإن رسول الله ﷺ استغشهم وهمّ بهم، فأنزل الله عز وجل عذرهم في الكتاب فقال: **"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ"** [الحجرات: 6][13].

قال ابن كثير: يأمر تعالى بالتثبت في خبر الفاسق ليحتاط له، لئلا يحكم بقوله فيكون في الأمر نفسه كاذبا أو مخطئا، فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه، وقد نهى الله عن اتباع سبيل المفسدين، ومن هاهنا امتنع طوائف من العلماء من قبول رواية مجهول الحال لاحتمال فسقه في الأمر نفسه[14]. فهذا "من الآداب التي على أولي الألباب التأدب بها واستعمالها، وهو أنه إذا أخبرهم فاسق بخبر أن يتثبتوا في خبره، ولا يأخذوه مجردًا، فإن في ذلك خطرًا كبيرًا، ووقوعًا في الإثم، فإن خبره إذا جعل بمنزلة

خبر الصادق العدل، حكم بموجب ذلك ومقتضاه، فحصل من تلف النفوس والأموال بغير حق بسبب ذلك الخبر ما يكون سببًا للندامة، بل الواجب عند خبر الفاسق، التثبت والتبين، فإن دلت الدلائل والقرائن على صدقه، عُمل به وصُدِّق، وإن دلت على كذبه كُذب، ولم يعمل به، ففيه دليل، على أن خبر الصادق مقبول، وخبر الكاذب مردود، وخبر الفاسق متوقف فيه كما ذكرنا، ولهذا كان السلف يقبلون روايات كثير من الخوارج، المعروفين بالصدق، ولو كانوا فساقًا"[15].

وإنما خصص الفاسق بعدم تصديق خبره؛ لأنه مظنة الكذب، فهو موضع الشك حتى يثبت خبره، مع العلم أن الأخذ بخبر الثقة جزء من منهج التثبت في الإسلام؛ لأنه أحد مصادره، أما الشك المطلق في جميع المصادر وفي جميع الأخبار، فهو مخالف لأصل الثقة المفروض بين الجماعة المؤمنة، ومعطل لسير الحياة وتنظيمها في الجماعة، والإسلام يدع الحياة تسير في مجراها الطبيعي، ويضع الضمانات والحواجز فقط لصيانتها لا لتعطيلها ابتداء. ثم إن التثبت إنما يكون في الأمور غير الواضحة، التي تحتاج إلى تثبت وتبين، يقول الشيخ السعدي رحمه الله: "الأمور قسمان: واضحة وغير واضحة ، فالواضحة البيِّنة لا تحتاج إلى تثبت وتبيين؛ لأن ذلك تحصيل حاصل، وأما الأمور المشكلة غير الواضحة، فإن الإنسان يحتاج إلى التثبت فيها والتبين، ليعرف هل يقدم عليها أم لا؟ إن التثبت في هذه الأمور يحصل فيه من الفوائد الكثيرة، والكف لشرور عظيمة، إذ به يعرف دين العبد وعقله ورزانته، بخلاف المستعجل للأمور في بدايتها قبل أن يتبين له حكمها، فإن ذلك يؤدي إلى ما لا ينبغي"[16]؛ وذلك أن الكلمة السيئة والشائعة المغرضة خطرها عظيم، خاصة في مثل هذه الأزمان، ولها أثارها السلبية على الأفراد والمجتمعات ، بل وعلى الأمة بأسرها وعلى أمنها، فكم أشعلت الكلمة من حروب، وكم أهلكت من قرى وأبادت من جيوش، وكم أورثت من غلّ وحقد في الصدور، وكم خربت من بيوت وهدمتها على أهلها.

2- قال تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**" [النساء: 94].

عن ابن عباس قال: مر رجل من بني سليم بنفر من أصحاب النبي ﷺ وهو يسوق غنما له، فسلم عليهم، فقالوا: ما سلم علينا إلا ليتعوذ منا، فعمدوا إليه فقتلوه، وأتوا بغنمه النبي ﷺ، فنزلت

هذه الآية: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا**..." إلى آخرها[17].

وورد في سبب نزولها رواية أخرى، من حديث عبد الله ابن أبي حدرد رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى إضَم[18]، فخرجت في نفر من المسلمين، فيهم أبو قتادة الحارث بن رِبْعي، ومحلم بن جَثَّامة بن قيس، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضَم مر بنا عامر بن الأضبط الأشجعي، على قَعُود له، معه مُتَيَّع ووَطْب[19] من لبن، فلما مر بنا سلم علينا فأمسكنا عنه، وحمل عليه محلم بن جثامة فقتله بشيء كان بينه وبينه، وأخذ بعيره ومُتَيَّعه، فلما قدمنا على رسول الله ﷺ وأخبرناه الخبر نزل فينا القرآن: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**"[20].

وروى سبب ثالث لنزول الآية، كما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بعث رسول الله ﷺ سرية، فيها المقداد بن الأسود، فلما أتوا القوم وجدوهم قد تفرقوا، وبقي رجل له مال كثير لم يبرح فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأهوى إليه المقداد فقتله، فقال له رجل من أصحابه: أقتلت رجلا شهد أن لا إله إلا الله؟ والله لأذكرَن ذلك للنبي ﷺ، فلما قدموا على رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله، إن رجلا شهد أن لا إله إلا الله فقتله المقداد، فقال: "ادعوا لي المقداد. يا مقداد، أقتلت رجلا يقول: لا إله إلا الله، فكيف لك بلا إله إلا الله غدا؟". قال: فأنزل الله: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا**"، فقال رسول الله ﷺ للمقداد: "**كان رجل مؤمن يخفي إيمانه مع قوم كفار، فأظهر إيمانه، فقتلْتَه، وكذلك كنت تُخفي إيمانك بمكة قبل**"[21].

ومهما يكن سبب نزولها، فالمقصود هو وجوب التثبت في الأمر، و أن "عرض الحياة الدنيا لا يجوز أن يدخل للمسلمين في حساب إذا خرجوا يجاهدون في سبيل الله، فإنه ليس الدافع إلى الجهاد ولا الباعث عليه، وكذلك التسرع بإهدار دم قبل التبين، وقد يكون دم مسلم عزيز لا يجوز أن يراق. والله سبحانه يذكر الذين آمنوا بجاهليتهم القريبة وما كان فيها من تسرع ورعونة؛ وما كان فيها من

طمع في الغنيمة، ويمن عليهم أن طهر نفوسهم ورفع أهدافهم، فلم يعودوا يغزون ابتغاء عرض الحياة الدنيا كما كانوا في جاهليتهم، ويمن عليهم أن شرع لهم حدوداً وجعل لهم نظاماً؛ فلا تكون الهيجة الأولى هي الحكم الآخر، كما كانوا في جاهليتهم كذلك، وقد يتضمن النص إشارة إلى أنهم هم كذلك كانوا يخفون إسلامهم -على قومهم- من الضعف والخوف، فلا يظهرونه إلا عند الأمن مع المسلمين، وأن ذلك الرجل القتيل كان يُخفي إسلامه على قومه، فلما لقي المسلمين أظهر لهم إسلامه وأقرأهم سلام المسلمين[22].

3- قال تعالى: **"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ"** [الحجرات: 12].

قال ابن كثير: يقول تعالى ناهيا عباده المؤمنين عن كثير من الظن، وهو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله؛ لأن بعض ذلك يكون إثما محضا، فليجتنب كثير منه احتياطا [23]، فيا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه اجتنبوا كثيرًا من ظن السوء بالمؤمنين، إن بعض ذلك الظن إثم. وسوء الظن بالآخرين يكون لأسباب منها الشائعات الكاذبة والمغرضة، فيجب التثبت والتبين فيها حتى لا يقع العبد في المحذور، ويحق عليه الإثم بسوء ظنه ببريء، فالواجب ألا يبادر المرء إلى تصديق ما يسمعه من تهم تمس بالآخرين، لا سيما إذا كانوا من أهل الدين والخير والصلاح، فحسن الظن مقدم، وله أن يتبين، ويسأل، فقد يكون الخبر كاذبا، وقد يكون صحيحا ولكن زيد فيه ما ليس منه، أو فسر على غير وجهه، أو أن لصاحبه عذرا اضطره للوقع في ذلك الأمر، أو غير ذلك، فالمهم هو أن الأصل حسن الظن لا سيما بمن عرف سلامة سيرتهم واستقامة أحوالهم وحرصهم على السداد والمقاربة من العلماء الصادقين والدعاة الناصحين وطلبة العلم المخلصين، أو ممن لهم سابقة في الإسلام، وقدم صدق في الدعوة إلى الله والبلاء في سبيله [24]، وقد ورد في الحديث عن أَبي هريرةﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: **" إِيَّاكُمْ والظَّنَّ، فإنَّ الظَّنَّ أكْذَبُ الحَدِيثِ"**[25].

4- لأجل ذلك يمدح الله عباده الصادقين، ويأمرنا بأن نكون معهم، فقال جل من قائل عليم: **"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ"** [التوبة: 119]، أي "في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، الذين

أقوالهم صدق، وأعمالهم وأحوالهم لا تكون إلا صدقا خلية من الكسل والفتور، سالمة من المقاصد السيئة، مشتملة على الإخلاص والنية الصالحة، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة"[26].

"وفي الآية ما لا يخفى من مدح الصدق، واستدل بها -كما قال الجلال السيوطي- من لم يبح الكذب في موضع من المواضع لا تصريحاً ولا تعريضاً، وأخرج غير واحد عن ابن مسعود أنه قال: لا يصلح الكذب في جد ولا هزل، ولا أن يعد أحدكم صبيته شيئاً ثم لا ينجزه، وتلا الآية، والأحاديث في ذمه أكثر من أن تحصى، والحق إباحته في مواضع..."[27] ثم ذكر ما يدل على ذلك.

ومما يكون سببا في الوقوع في الكذب والحرمان من الاندراج في زمرة الصادقين أن يحدث المرء بكل شيء يطرق سمعه، دون تثبت، وأن يكون مبلغ علمه أن يقول: زعموا... كما سيأتي...

5 – أنكر الله سبحانه وتعالى على من نشر كل خبر جاءه دون التثبت ومراجعة أهل الاستنباط بذلك الخبر، فقال جل ذكره: " **وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا**" [النساء: 83]، وهذا "إنكار على من يبادر إلى الأمور قبل تحققها، فيخبر بها ويفشيها وينشرها، وقد لا يكون لها صحة"[28].

يقول الشيخ السعدي: "هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق، وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، أهلِ الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها، فإن رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطا للمؤمنين وسرورا لهم وتحرزا من أعدائهم فعلوا ذلك، وإن رأوا أنه ليس فيه مصلحة أو فيه مصلحة ولكن مضرته تزيد على مصلحته، لم يذيعوه، ولهذا قال: "**لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ**" أي: يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة وعلومهم الرشيدة، وفي هذا دليل على قاعدة أدبية، وهي أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يولَّى مَنْ هو أهل لذلك، ويُجعل إلى أهله، ولا يُقدم بين أيديهم، فإنه أقرب إلى الصواب، وأحرى للسلامة من الخطأ، وفيه النهي عن

العجلة والتسرع في نشر الأمور من حين سماعها، والأمر بالتأمل قبل الكلام والنظر فيه، هل هو مصلحة، فيُقْدِم عليه الإنسان؟ أم لا، فيحجم عنه؟"[29].

6- قال الله تعالى: "**إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ**" [النور: 15]، وهذا إنكار من الله على الصحابة كيف يتلقفون خبراً كهذا الذي تتحدث عنه الآيات، وهو قذف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ويلقيه بعضهم إلى بعض، دون أدنى تثبت أو تروٍ، وهو أمر باطل؛ ولهذا قال: "**وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ**"، والأمران محظوران، التكلم بالباطل، والقول بلا علم، "**وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا**"؛ فلذلك أقدم عليه من أقدم من المؤمنين الذين تابوا عنه، وتطهروا بعد ذلك، "**وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ**"، وهذا فيه الزجر البليغ عن تعاطي بعض الذنوب على وجه التهاون بها، فإن العبد لا يفيده حسبانه شيئاً، ولا يخفف من عقوبة الذنب، بل يضاعف الذنب، ويسهل عليه مواقعته مرة أخرى[30].

وما يتعلق بشائعة الإفك سيأتي بسط الكلام فيها، ولكن المراد هنا أن الله أنكر عليهم نشر الكلام الذي لا علم لهم بحقيقته، بل الدلائل والقرائن تدل على بطلانه، وهو تربية لهم وللأمة جميعا في هذا الباب، وإن كانت الآية نازلة في شأن عائشة فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فلا ينبغي للمسلم اللبيب أن يتلقف الأخبار بدون تروٍ أو تثبت أو نظر في عواقبها وآثارها... فإن هذا لا يليق بالمسلم العاقل.

7- توعد الله الذين يحبون إشاعة الفاحشة في المجتمع بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، فقال الله تعالى: "**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**" [النور: 19]، هذا تأديب لمن سمع شيئا من الكلام السيئ، فقام بذهنه منه شيء، وتكلم به، فلا ينبغي له أن يشيعه ويذيعه، فقد قال تعالى: "**إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة**" أي: الأمور الشنيعة المستقبحة المستعظمة، فيحبون أن تشتهر الفاحشة "**فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**"، "أي: موجع للقلب والبدن، وذلك لغشه لإخوانه المسلمين، ومحبة الشر لهم، وجراءته على أعراضهم، فإذا كان هذا الوعيد لمجرد محبة أن تشيع الفاحشة، واستحلاء ذلك بالقلب، فكيف بما هو أعظم من ذلك، من إظهاره ونقله؟".. وكل هذا من رحمة الله بعباده المؤمنين، وصيانة أعراضهم، كما صان

دماءهم وأموالهم، وأمرهم بما يقتضي المصافاة، وأن يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه: **"وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ"**، فلذلك علمكم، وبين لكم ما تجهلونه[31].

والآية صريحة في دلالتها، وقد جاءت تعقيباً على حادثة الإفك التي تمثل نوعاً من أسوأ أنواع الشائعات، إذ إن الله سبحانه وتعالى توعد أولئك الذين يحبون أن تنتشر مقالة السوء في أوساط المؤمنين بعذاب أليم في الدنيا والآخرة، وخصوصاً إذا كانوا يسعون لترويجها ونشرها بين الناس بترديدها ونقلها من مكان إلى آخر.

ولنتأمل تركيب الآية، فقد نصت على من يحب أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، ولم يمارس هو إشاعة الفاحشة ، فلو أشاعها كان الجرم أكبر والعقاب أشد، وحينما يتمنى الإنسان أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، فهو ليس مؤمناً حقاً ، بل هو في صف المنافقين شعر أو لم يشعر ، لأن الله عز وجل يقول: **"إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا"** [آل عمران: 120].

8- قال الله تعالى: **"لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلا قَلِيلًا مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا"** [سورة الأحزاب: 60، 61]. فالمرجفون في المدينة هم الذين يشيعون الفاحشة، يكذبون، ويروجون الأكاذيب والأباطيل، ويسوقونها طعنا في الأبرياء، وإثارة للفتن بين المسلمين، وتفريقا لصفهم، وزرعا للرعب بينهم[32]، وقد قال تعالى:**"وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا"** [سورة النساء: 112].

فكم من شائعات أغرت الناس وأغوتهم، وكم من شائعات وقع الناس بأسبابها في الخطأ، وكم قُدِح في أناس أبرياء، وأشيع عنهم ما لم يقولوه، ونُسب إليهم ما لم يأمروا به أو يفعلوه، إنما يقصد هذه الأشياء الأمور المغرضون وأهل الحقد والحسد، والذين في قلوبهم مرض، ينتصرون لأنفسهم على حساب إذلال الآخرين والإساءة إليهم.

9 – **"وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا"** [الإسراء: 36]، أي: ولا تتبع ما ليس لك به علم، بل تثبت في كل ما تقوله وتفعله، فلا تظن ذلك يذهب لا لك ولا عليك، **"إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا"**، فحري بالعبد الذي يعرف أنه

مسئول عن ما قاله وفعله، وعن ما استعمل به جوارحه التي خلقها الله لعبادته أن يعد للسؤال جوابا، وذلك لا يكون إلا باستعمالها بعبودية الله وإخلاص الدين له وكفها عما يكرهه الله تعالى [33]، وقد قال النبي ﷺ: **"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت"**[34]، وقال تعالى: **"مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ"** [ق: 18].

وهذا تحذير من أن يتكلم الإنسان بشيء لا يعلم صدقه من كذبه، وقد يكون غرض أحدهم أن يُقال: إن لديه علماً، أو يلفت أنظار الناس إليه، أو ليفسد بين الناس، أو غير ذلك من الأغراض، فإنه بذلك آثم ويستحق الوعيد، ويدخل في ذلك أن يتشبع الإنسان بما لم يعط من مال أو علم أو عطاء أو نحوه، فهذا كما قال النبي ﷺ: **"المتشبع**[35] **بما لم يعط كلابس ثوبي زور أي كذب"**[36]. والحاصل أنه يجب على الإنسان أن يتثبت فيما يقول، ويتثبت فيمن يُنقل إليه الخبر، لاسيما إذا كثرت الأهواء وصار الناس يتخبطون ويكثرون من القيل والقال بلا تثبت ولا بينة، بل بالأهواء والعصبيات، فإنه يكون أشد وجوبا، حتى لا يقع الإنسان في المهلكة .قال ابن كثير عند تفسيرها: قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: يقول: لا تقل، وقال العوفي عنه: لا تَرْم أحدًا بما ليس لك به علم، وقال محمد بن الحَنفية: يعني شهادة الزور، وقال قتادة: لا تقل: رأيت ولم تر، وسمعت ولم تسمع، وعلمت ولم تعلم؛ فإن الله سائلك عن ذلك كله، ثم قال: ومضمون ما ذكروه: أن الله تعالى نهى عن القول بلا علم، بل بالظن الذي هو التوهم والخيال، كما قال تعالى: **"اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ"** [الحجرات: 12]، وفي الحديث: **"إياكم والظن؛ فإن الظن أكذبُ الحديث"**[37]. وفي سنن أبي داود: **"بئس مطيةُ**[38] **الرجل: زعموا"**[39]، وفي الحديث الآخر: **"إن أفرى الفِرَى**[40] **أن يُري عينيه ما لم تريا"**[41]، وفي الصحيح: **"من تحلم حلما كُلف يوم القيامة أن يعقد بين شَعيرتين، وليس بعاقد"**[42]، "أي قال: إنه رأى في النوم ما لم يره، يقال: حَلَم -بالفتح- إذا رأى، وتحلم إذا ادعى الرؤيا كاذبا.

فإن قيل: إن كذب الكاذب في منامه لا يزيد على كذبه في يقظته، فلم زادت عقوبته ووعيده وتكليفه عقد الشعيرتين؟ قيل: قد صح الخبر «إن الرؤيا الصادقة جزء من النبوة» والنبوة لا تكون إلا وحيا، والكاذب في رؤياه يدعي أن الله تعالى أراه ما لم يره، وأعطاه جزءا من النبوة لم يعطه إياه، والكاذب على الله تعالى أعظم فرية ممن كذب على الخلق أو على نفسه.

ثانيا: مما ورد في السنة في التحذير من الشائعات ونشرها

1- **قيل لأبي مسعود: ما سمعت رسول الله ﷺ يقول في "زعموا؟". قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "بئس مطية الرجل زعموا"**[43].

والمطية بمعنى المركوب، "**زعموا**" قريب من الظن، أي أسوأ عادة للرجل أن يتخذ لفظ "**زعموا**" مركبا إلى مقاصده، فيخبر عن أمر تقليدي من غير تثبت فيخطئ، ويجرب عليه الكذب[44].

و"زعم" تقال في الأمر الذي لا يوقف على حقيقته ولا صدقه من كذبه، و"إنما ذم هذه اللفظة لأنها تستعمل غالبا في حديث لا سند له ولا ثَبَتَ فيه، إنما هو شيء يُحكي عن الألسن، فشبه النبي ﷺ ما يقدمه الرجل أمام كلامه ليتوصل به إلى حاجته من قولهم: "زعموا"، بالمطية التي يتوصل بها الرجل إلى مقصده الذي يؤمه، فأمر النبي ﷺ بالتثبت فيما يحكيه، و الاحتياط فيما يرويه، فلا يروي حديثا حتى يكون مرويا عن ثقة [45].

قال الألباني: وفي الحديث ذم استعمال هذه الكلمة "**زعموا**" وإن كانت في اللغة قد تأتي بمعنى قال، كما هو معلوم، ولذلك لم تأت في القرآن إلا في الإخبار عن المذمومين بأشياء مذمومة كانت منهم مثل قوله تعالى: "**زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا**" [التغابن: 7] ثم أتبع ذلك بقوله: "**قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ**" [التغابن: 7][46].

2- عن أبي هريرة قال: **قال رسول الله ﷺ: "كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ"**، وعن عمر بن الخطاب وابن مسعود رضي الله عنهما قالا: "**بَحسْبِ المرء من الكذب: أن يُحدِّثَ بكل ما سمع**"[47].

ومعنى الحديث: أن من حدث بكل ما سمع فقد استكثر من الكذب، وفي الأحاديث النهي عن التحديث بكل ما سمع الإنسان، فإنه يسمع في العادة الصدق والكذب، فإذا حدث بكل ما سمع فقد كذب لإخباره بما لم يكن... والكذب هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه، ولا يشترط فيه التعمد، ولكن التعمد شرط في كونه إثماً[48]، ومن كان يحدث بكل ما سمع، وينشر كل ما وصل إليه فقد حمل الناس على تكذيبه واتهامه.

وفي مقدمة صحيح مسلم عن عبد الله قال: قال لي مالك: اعلم أنه ليس يسلم رجل حدث بكل ما سمع، ولا يكون إماما أبدا وهو يحدث بكل ما سمع، وقال عبد الرحمن بن مهدى: لا يكون الرجل إماما يقتدى به حتى يمسك عن بعض ما سمع[49].

فكم من كلمة، أو مقالة، أو عبارة، أو صورة ينشرها الناس اليوم أو يذيعونها وهم لا يعرفون مصدرها ولا صدقها من كذبها، وكم من كلمة تهوي بقائلها في نار جنهم أبعد ما بين المشرق والمغرب، كلمات تخرج من الشفاه أو الأقلام كالسهام القاتلة، قد يبذر بها بذور الفرقة، وينفخ في أبواق الفتنة، إذا سمع خبراً طار به كل مطار، ينشره ويبثه يفاخر بأنه حاز السبق في نشره، والكلمة تبلغ الآفاق متخطية حواجز الزمان والمكان في ثوان يسيره، بلمسة بنان أو ضغطة أزرار، وكان الواجب أن يسأل نفسه قبل ذلك كله: أين الحقيقة؟ ثم: أين المصلحة؟

3- وقد ورد ما يدل على النهي عن التحديث بما لا يعلم صدقه من كذبه من حديث النبي ﷺ، وهو حديث قول النبي ﷺ: **"من حدث عني بحديث يُرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين"**[50].

قال النووي: ضبطناه "يُرى" بضم الياء... فمعنها: يظن... وفيه تغليظ الكذب والتعرض له، وأما من غلب على ظنه كذب ما يرويه فرواه كان كاذباً، وكيف لا يكون كاذباً وهو مخبر بما لم يكن[51].

وأخرج ابن عبد البر في التمهيد: عن عروة بن الزبير قال: **"إني لأسمع الحديث أستحسنه فما يمنعني من ذكره إلا كراهية أن يسمعه سامع فيقتدي به، وذلك أني أسمعه من الرجل لا أثق به قد حدث به عمن أثق به أو أسمعه من رجل أثق به قد حدث به عمن لا أثق به فلا أحدث به"**، ثم قال: هذا فعل أهل الورع والدين... وفي خبر عروة هذا دليل على أن ذلك الزمان كان يحدث فيه الثقة وغير الثقة فمن بحث وانتقد كان إماماً... ما أظن قول عروة هذا إلا مأخوذ من قول ﷺ: **" من روى عني حديثا يُرى أنه كذب فهو أحد الكذابين "**، وذلك أن كل من حدث بكل ما سمع من ثقة وغير ثقة لم يؤمن عليه أن يحدث بالكذب، والله أعلم [52].

وجاء في عون المعبود: "... والمقصود أن الإخبار بخبر مبناه على الشك والتخمين دون الجزم واليقين قبيح ، بل ينبغي أن يكون لخبره سند وثبوت ، ويكون على ثقة من ذلك لا مجرد حكاية على ظن وحسبان، وفي المثل: **"زعموا مطية الكذب"**[53].

قال السعدي رحمه الله: "من الغلط الفاحش الخطر قبول قول الناس بعضهم ببعض، ثم يبني عليه السامع حباً وبغضاً، ومدحاً وذماً، فكم حصل بهذا الغلط من أمور صار عاقبتها الندامة، وكم أشاع الناس عن الناس أموراً لا حقائق لها بالكلية، أو لها بعض الحقيقة فنُمِّيت بالكذب والزور،

وخصوصاً ممن عُرفوا بعدم المبالاة بالنقل، أو عُرف عنهم الهوى، فالواجب على العاقل التثبتُ والتحرز، وبهذا يعرف دين المرء ورزانته وعقله"[54].

4- **عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: "رأيت رجلين أتياني... قالا: الذي رأيته يشق شدقه فكذاب يكذب بالكذبة تحمل عنه حتى تبلغ الآفاق، فيصنع به إلى يوم القيامة"**[55]، وفي هذا غاية التنفير والتحذير من نشر الكذب والترويج له؛ لما فيه من الوعيد على من فعل ذلك.

ويدخل في ذلك كل كذب يروج وينشر ويصدق في الناس، وقد قالوا: كذبة المنبر بلقاء مشهورة، وهذا يشمل كذب الحكام على رعاياهم وشعوبهم، وفى الحديث عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر"**[56].

ويدخل في ذلك أيضاً كذب الصحفيين فيما يكتبون وينشرون حرصاً على ما يسمى بالسبق الصحفي، وما تحمله من أسباب الإثارة، وتحوير الحقائق لأغراض غير نزيهة، فالصحفي الذي ينشر على الألوف خبرا باطلا، والسياسي الذي يعطى الناس صوراً مقلوبة عن المسائل الكبرى، وذو الغرض الذي يتعمد سوق التهم إلى الكبراء من الرجال والنساء، أولئك يرتكبون جرائم أشق على أصحابها وأسوأ عاقبة، وما ذلك إلا لآثارها السيئة على الأفراد والمجتمعات، ما تحدثه من فتنة وتنافر وخصومات بين الناس[57].

5- **عن النَّبِيُّ ﷺ أنه قال: "إِنَّ اللهَّ كَرِهَ لَكُمْ ثَلاَثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ المَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ"**[58].

ومعنى قوله: **"قيل وقال"** أي: حكاية أقاويل الناس وأحاديثهم، والبحث عنها، فيقول: قال فلان كذا، وقيل لفلان كذا، وهو يشمل حكاية ما لا يعلم صحته؛ فإن الحاكي يقول: قيل وقال، والمراد من الأحاديث بيان كراهة كثرة الكلام، ونقل الأخبار؛ لأنها تؤول إلى الخطأ، وإنما كرره للمبالغة في الزجر عن الحديث الذي يقوله الناس من غير تثبت، ولا تدبر، ولا تبيّن.

قال في دليل الفالحين: يريد به المنع من التبرّع بنقل الأخبار، فعاد لما فيه من هتك الستار، وكشف الأسرار، وقد أشار إلى أن ذلك ليس من محسنات الإسلام بقوله ﷺ: **"من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه"**[59]، وفيه من جهة المعنى موافقة لقوله تعالى: **"إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي**

الَّذِينَ آَمَنُوا... الآية" [النور: 19]؛ لأن الله تعالى ستار[60]، ويُخص من هذا نقلُ الأخبار النافعة لا سيما إذا كانت صحيحة عن ثقة[61].

6 – **عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: "أيما رجل حالت شفاعته دون حد من حدود الله تعالى لم يزل في سخط الله حتى ينزع، وأيما رجل شد غضبا على مسلم في خصومة لا علم له بها فقد عاند الله حقه وحرص على سخطه وعليه لعنة الله تتابع إلى يوم القيامة، وأيما رجل أشاع على رجل مسلم بكلمة وهو منها بريء سبه بها في الدنيا كان حقا على الله أن يذيبه يوم القيامة في النار حتى يأتي بإنفاذ ما قال"**[62].

قال في فيض القدير: قوله "**وأيما رجل أشاع على رجل مسلم**" أي أظهر عليه ما يعيبه "**بكلمة وهو منها برئ يشينه بها**" أي فعل ما فعل بقصد أن يشينه أي يعيبه أو يعيره بها "**في الدنيا**" بين الناس " **كان حقا على الله أن يدليه يوم القيامة في النار حتى يأتي بإنفاذ ما قال** "وليس بقادر على إنفاذه، فهو كناية عن دوام تعذيبه بها، من قبيل الخبر المَارّ: " **كلف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرتين**"[63]، فهو وعيد شديد لمن يشيع ما يضر بالآخرين، ويقصد شينهم وسبهم وذمهم في الملأ.

المبحث الثالث: أسباب انتشار الشائعات

هناك **أسباب كثيرة** تسهم في سرعة انتشار الشائعات وتصديقها بين السامعين لها، لا سيما إذا توافرت لها عوامل الانتشار، فهي تمتاز بالإيجاز والسهولة في التذكر، وسهولة النقل والرواية، والارتباط بواقع الناس وما يعيشونه من هموم وقضايا كما أن تأخر البيان والتفنيد والإنكار لهذه الشبهة بسبب ضعف التواصل بين القواعد وقياداتها له أثر كبير في تطوير الشائعة وتضخيمها، ولعل الاستجابات الفردية من عوامل انتشارها وتوسيع نطاقها، ويمكن وضع **أسباب انتشار الشائعة** في نقاط كما يأتي:

- **كثرة وسائل الاتصالات الحديثة وتعددها وانتشارها وسهولة استخدامها**، كل ذلك يعد سبباً هاماً في انتشار الشائعات، فهي تقوم بنشر كم هائل جداً من المعلومات في وقت يسير جداً، وبكل يسر وسهولة.

- **انعدام أو غياب المعلومات الصحيحة أو ندرتها** حول حدث أو موضوع من الموضوعات التي تشغل بال المجتمع، فيأتي المغرضون فيصطنعون الشائعات ويبثونها في الناس، فيتعلق الناس بها على أنها حقائق، وقد يكون الخبر صحيحا، ولكن يكون التحليل لهذا الموضوع مضللاً بقصد أو بغير قصد، أو يفسر على غير وجهه.
- **الجهل وغياب الوعي أو ضعفه في المجتمع**، فتلك بيئة خصبة لترويج وانتشار الشائعات، لسهولة انطلاء الأكاذيب عليهم ، وقلة من يسأل عن مصدر لتوثيق ما يُتداول من معلومات.
- **من ما يسهم في انتشار الشائعة تعلقها بموضوع له أهمية بالنسبة إلى الناس أو الأفراد**، أو أنها تحقق نوعا من الرضا النفسي لديهم، أو أنهم يجدون فيها جواباً لسؤال يتردد كثيراً في أوساطهم، فيكون لدى الناس رغبة في تصديقها.
- **عدم وجود الطرف المخول بالرد على الشائعة** يزيد لهيبها ويبعد عنها الشكوك والأقاويل، كما أن ضعف حلقات التواصل بين القيادات والقواعد يؤدي إلى رواج الشائعات وتأثيرها في الناس.
- أن يكون موضوع الإشاعة مما يوافق هوى في نفوس السامعين، كأن يكون مصدر الخبر ممن تميل إليه قلوب السامعين لصحبة أو حزبية أو مشيخة مما يمنع السامع من البحث عن صحة الخبر والتثبت منه.. أو يكون الخبر انتصارا لفئة السامعين وطائفتهم أو قضيتهم، أو ينال من خصومهم ويهون من شأنهم.

يقول ابن خلدون: ولما كان الكذب متطرقا للخبر بطبيعته، وله أسباب تقتضيه، فمنها التشيعات للآراء والمذاهب، فإن النفس إذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر أعطته حقه من التمحيص والنظر حتى تتبين صدقه من كذبه، وإذا خامرها تشيع لرأي أو نحلة قبلت ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة، وكان ذلك الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتمحيص فتقع في قبول الكذب ونقله، ومنها توهم الصدق وهو كثير، وإنما يجئ في الأكثر من جهة الثقة بالناقلين[64].

أما الأسباب التي تدعو مروجي الشائعات إلى ترويجها ونشرها، فكثيرة أيضاً ومنها:

السبب الأول: اتباع الهوى، وطاعة النفس الأَمَّارة بالسوء، فيعمل على نشر ما يوافق هَوَى نفسه، ولو كان على حساب إلحاق الضرر بغيره، فلا يهمه ما يحصل بعد ذلك من خطر للآخرين، ولهذا أنكر الله

جل وعلا على من هذا صنيعه، فقال تبارك وتعالى:" **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ** " [الجاثية: 23]، وقال جل وعلا: " **وَلَا تَتَّبِعِ الهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللهِ** " [سورة ص: 26].

السبب الثاني: الجهل بخطر الشائعة، والجهل بعواقب ترويجها، فقد يؤدي به جهله إلى أن يطلق الشائعة من باب المزاح والدعابة، أو ملء الفراغ دون تقدير لعواقب ما يكتب وينشر ويقول...

السبب الثالث: النفاق، فالمنافقون يرجفون بين المسلمين لتحقيق أهدافهم الخبيثة من التشكيك في العقيدة أو نزع الثقة من أهل العلم أو تفريق الكلمة أو غيرها من الأغراض السيئة، قال تعالى: " **لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلا قَلِيلًا**"[الأحزاب:60]، فيرجفون في المؤمنين، ويقولون: جاء العدو، وانتصر الأعداء، وهزم المؤمنون إرجافا بين المؤمنين، وإضعافا لعزائمهم.

فما فتنة إلا وكان للمنافقين يد فيها، وما حادثة الإفك من ذلك ببعيد، وقد وصف الله المنافقين بالعداوة للمؤمنين، كما قال تعالى: "**هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**" [المنافقون: 4]، فهم أهل إرجاف وكذب وبهتان، يُخْفُون ما لا يُبْدُون، وهم قوم لا خلاق لهم.

إذاً فأعظم مصدر للشائعات الكبرى هم المنافقون، وهم يتلقون ذلك من اليهود بدرجة أولى، فهم أرباب إتقان أسلوب الشائعات إرجافا بين المؤمنين، وتفريقا بين خصومهم، وزرعا للفتنة بينهم، وتحقيقا لمآربهم الخسيسة.

وصدق الله إذ يقول: "لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ" [التوبة: 47].

وهنا الإشكال الكبير أن في المؤمنين من يسمع لهم ويصدقهم ويتأثر بما يقولون: "**وَفِيكُمْ**" أناس ضعفاء العقول "**سَمَّاعُونَ لَهُمْ**" أي: مستجيبون لدعوتهم يغترون بهم، فإذا كانوا هم حريصين على خذلانكم، وإلقاء الشر بينكم، وتثبيطكم عن أعدائكم، وفيكم من يقبل منهم ويستنصحهم، فما ظنك بالشر الحاصل من خروجهم مع المؤمنين، والنقص الكثير منهم، فللّه أتم الحكمة حيث ثبطهم ومنعهم من الخروج مع عباده المؤمنين رحمة بهم، ولطفا من أن يداخلهم ما لا ينفعهم، بل

يضرهم[65]، وهؤلاء الذين يتأثرون بهذه الأراجيف والشائعات يكون ذلك منهم: "إما لظن مخطئ، أو لنوع من الهوى، أو لمجموعهما، فإن المؤمن إنما يدخل عليه الشيطان بنوع من الظن واتباع هواه، ولهذا جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: **"إن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات، ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات"**[66].

السبب الرابع: الفراغ الذي يؤدي بلا شك إلى ترويج الشائعات بطرق ووسائل مختلفة، ويكون ذلك بغرض التسلية وإزجاء الفراغ، كما يحدث على صفحات التواصل الاجتماعي على اختلافها وتعددها، فعملية النسخ واللصق سهلة ومغرية، يتناقل أهلها فيها القيل والقال، والزور والبهتان، وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: **"نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ"**[67].

ويزداد خطرها وإثمها إذا تحولت إلى غيبة وطعن في أبرياء، أو صد عن سبيل الله على وجه التشهير والفضيحة، أو تثبيط الهمم، وتفت في عضد المؤمنين الصادقين، أو تساعد على نشر فتنة في المجتمع.

السبب الخامس: حب الظهور والبروز الإعلامي، فحب الظهور مرض نفسي، وهو من الحيل العقلية التي يلجأ إليها ضعاف النفوس من أجل إبراز أنفسهم على حساب الآخرين، نتيجة لِمَا يعانيه من الفشل في حياته العامة، مُعْتَقِدًا أن ذلك يُعوِّض ما يشعر به من نقص.

السبب السادس: الكراهية للآخرين والحقد عليهم: فإن الشعور بالكراهية نحو الآخرين والحقد عليهم أو الحسد لهم سبب في زرع الشائعات، فيعمل مُرَوِّج الشائعة على نشرها من باب الكراهية والبغضاء لشخص أو جهة حتى يسيء إلى سمعته بين الناس، ويكون هذا أحيانا من باب الانتقام لنفسه بإلحاق الضرر بأخيه، ولا شك أن الحقد والحسد والعناد والأنانية على رأس الأسباب التي تحمل أصحابها على نشر الشائعات الكاذبة حول غيرهم، وهذا نوع من الفجور في الخصومة التي جعلها النبي ﷺ إحدى علامات النفاق عياذاً بالله من ذلك.

وكل ما سبق يرجع إلى ضعف الإيمان وقلة العلم، وضعف مراقبة الله في قلب العبد والجهل بحقائق الأمور ومآلاتها وعواقبها.

كما أن لمروجي الشائعات أهدافا ومآربَ كثيرة منها ما هو ديني عقدي، ومنها ما هو مادي نفعي، ومنها ما هو سياسي، ومنها ما هو عسكري، وغالبا ما تحصل هذه الشائعات في أيام الفتن

والاختلاف والحروب أو في الحالات الأمنية غير الاعتيادية، وتهدف هذه الشائعات إلى تسبيب ربكة في الطرف المعني بالشائعة، ومن أهداف ترويج الشائعات جس النبض، ومعرفة مقدار ردة الفعل من الناس حول قضية من القضايا العامة..

المبحث الرابع: نماذج من الشائعات التي حدثت في زمن النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم وما كان لها من آثار، وكيف تعامل معها النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم

إن الصراع بين الحق والباطل قديم ومستمر ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، لذا فإن أهل الباطل من كفرة ومنافقين ومبتدعة ومن لفَّ لفهم من أهل الشهوات والشبهات ، لا يفتُرون أبدا في استعمال كل وسيلة، ولو كانت محرمة تعيق الحق وأهله ، عن مواصلة طريقه، والاستمرار في دعوة الناس إلى الخير، وتحقيق هدفه ألا وهو عبادة الله في الأرض، وتعبيد الناس لله وحده لا شريك له، ويسعون في زعزعة أمن المسلمين، وتفريق كلمتهم، وزرع الفتن بينهم، والصد عن دينهم ودعوتهم، وصدق الله إذ قال في بيان مشاعرهم نحونا: **"لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ"** [آل عمران: 118]، وقال الله جلا وعلا: **"يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ. هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ"** [التوبة: 32، 33].

قال الإمام البغوي رحمه الله: أي: يبطلوا دين الله بألسنتهم وتكذيبهم إياه، وقال الكلبي: النور القرآن، أي: يريدون أن يردوا القرآن بألسنتهم تكذيبا، **"وَيَأْبَى اللَّهُ إِلا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ"** أي: يعلي دينه ويظهر كلمته ويتم الحق الذي بعث به محمدا ﷺ: **"وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ"**[68].

ثم إن أكثر الناس تعرضا للشائعات الكاذبة هم الرسل الكرام –عليهم صلوات الله وسلامه– وأتباعهم من العلماء المصلحين، والدعاة المخلصين المؤثرين ، وهذا ثابت منذ فجر الإنسانية، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فإن الصراع بين الخير والشر باق ما بقي الناس في هذه الحياة تشكيكا في نواياهم، وطعنا في دعوتهم ورسالتهم التي يبلغونها للناس.

لقد حكى لنا القرآن الكريم من الشائعات الكاذبة التي كان أعداء الرسل يثيرونها حول شخصيات الرسل ودعوتهم ومن تهم زائفة حتى ينفض الناس عنهم وعن دعوتهم التي تقوم على وجوب اخلاص العبادة لله الواحد القهار وعلى التحلي بمكارم الأخلاق... وكان لنبينا ﷺ من ذلك

نصيب كبير، لقد قالوا عنه: **إنه ساحر، وإنه كذاب، وبأن ما جاء به من قرآن ما هو إلا أساطير الأولين**، إلى غير ذلك من الشائعات التي لا يقبلها قلب سليم، بل كانت تسقط عند أدنى تأمل، وأقل نقاش ورد.

فهذا الطفيل بن عمرو الدوسي كان رجلًا شريفًا، وشاعرًا لبيبًا، رئيس قبيلة دوس، وكانت لقبيلته إمارة أو شبه إمارة في بعض نواحي اليمن، قدم مكة في عام 11 من النبوة، فاستقبله أهلها قبل وصوله إليها، وبذلوا له أجل تحية وأكرم تقدير، وقالوا له: يا طفيل، إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا، وقد فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر، يفرق بين الرجل وأبيه، وبين الرجل وأخيه، وبين الرجل وزوجه، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمه، ولا تسمعن منه شيئًا.

يقول الطفيل: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئًا ولا أكلمه، حتى حشوت أذني حين غدوت إلى المسجد كُرْسُفًا؛ فَرَقًا من أن يبلغني شيء من قوله، قال: فغدوت إلى المسجد فإذا هو قائم يصلى عند الكعبة، فقمت قريبًا منه، فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله، فسمعت كلامًا حسنًا، فقلت في نفسي: واثكل أمي، والله إني رجل لبيب شاعر؛ ما يخفي عليّ الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول؟ فإن كان حسنًا قبلته، وإن كان قبيحًا تركته، فمكثت حتى انصرف إلى بيته فاتبعته، حتى إذا دخل بيته دخلت عليه، فعرضت عليه قصة مقدمي، وتخويف الناس إياي، وسد الأذن بالكرسف، ثم سماع بعض كلامه، وقلت له: اعرض عليّ أمرك، فعرض عليّ الإسلام، وتلا عليّ القرآن، فوالله ما سمعت قولًا قط أحسن منه، ولا أمرًا أعدل منه، فأسلمت وشهدت شهادة الحق، وقلت له: إني مطاع في قومي، وراجع إليهم، وداعيهم إلى الإسلام، فادع الله أن يجعل لي آية، فدعا.

وكانت آيته أنه لما دنا من قومه جعل الله نورًا في وجهه مثل المصباح، فقال: اللهم في غير وجهي؛ أخشى أن يقولوا: هذه مثلة، فتحول النور إلى سوطه، فدعا أباه وزوجته إلى الإسلام فأسلما، وأبطأ عليه قومه في الإسلام، لكن لم يزل بهم حتى هاجر بعد الخندق، ومعه سبعون أو ثمانون بيتًا من قومه، وقد أبلى في الإسلام بلاء حسنًا، وقتل شهيدًا يوم اليمامة.

وهذا ضِمَاد الأزدي كان من أَزْدِ شَنُوءَة من اليمن، وكان يرقي من هذا الريح، قدم مكة فسمع سفهاءها يقولون: إن محمدًا مجنون، فقال: لو إني أتيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدى، فلقيه، فقال: يا محمد، إني أرقي من هذا الريح، فهل لك؟ فقال رسول الله ﷺ: **"إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد"**، فقال: أعد عليّ كلماتك هؤلاء، فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات، فقال: لقد سمعت قول الكهنة، وقول السحرة، وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، ولقد بلغن قاموس البحر، هات يدك أبايعك على الإسلام، فبايعه(69).

وقد أثيرت شائعات كان لها أثر سلبي وسيء على المسلمين، سنذكر بعضا منها لبيان أخطارها وكيف تعامل النبي ﷺ والمسلمين معها، فمن هذه الشائعات:

شائعة أن كفار قريش قد أسلموا بعد هجرة بعض المسلمين إلى الحبشة:

وفي رمضان من السنة نفسها (الخامسة من البعثة) خرج النبي ﷺ إلى الحرم، وفيه جمع كبير من قريش، فيهم ساداتهم وكبراؤهم، فقام فيهم، وفاجأهم بتلاوة سورة النجم، ولم يكن أولئك الكفار سمعوا كلام الله من قبل؛ لأنهم كانوا مستمرين على ما تواصى به بعضهم بعضًا، من قولهم: **" لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ "** [فصلت: 26]، فلما باغتهم بتلاوة هذه السورة، وقرع آذانهم كلام إلهي خلاب، وكان أروع كلام سمعوه قط، أخذ مشاعرهم، ونسوا ما كانوا فيه فما من أحد إلا وهو مصغ إليه، لا يخطر بباله شيء سواه، حتى إذا تلا في خواتيم هذه السورة قوارع تطير لها القلوب، ثم قرأ: **"فَاسْجُدُوا للهِ وَاعْبُدُوا"** [النجم: 62] ثم سجد، لم يتمالك أحد نفسه حتى خر ساجدًا، وفي الحقيقة كانت روعة الحق قد صدعت العناد في نفوس المستكبرين والمستهزئين، فما تمالكوا أن يخروا لله ساجدين.

وسَقَطَ في أيديهم لما أحسوا أن جلال كلام الله لَوَّى زمامهم، فارتكبوا عين ما كانوا يبذلون قصارى جهدهم في محوه وإفنائه، وقد توالى عليهم اللوم والعتاب من كل جانب، ممن لم يحضر هذا المشهد من المشركين، وعند ذلك كذبوا على رسول الله ﷺ وافتروا عليه أنه عطف على أصنامهم بكلمة تقدير، وأنه قال عنها ما كانوا يرددونه هم دائما من قولهم: **"تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهم**

لترتجى"، جاءوا بهذا الإفك المبين ليعتذروا عن سجودهم مع النبي ﷺ، وليس يستغرب هذا من قوم كانوا يألفون الكذب، ويطيلون الدس والافتراء.

وبلغ هذا الخبر إلى مهاجري الحبشة، ولكن في صورة تختلف تمامًا عن صورته الحقيقية، بلغهم أن قريشًا أسلمت، فرجعوا إلى مكة في شوال من السنة نفسها، فلما كانوا دون مكة ساعة من نهار وعرفوا جلية الأمر رجع منهم من رجع إلى الحبشة، ولم يدخل إلى مكة من سائرهم أحد إلا مستخفيًا، أو في جوار رجل من قريش، ثم اشتد عليهم وعلى المسلمين البلاء والعذاب من قريش، وسطت بهم عشائرهم، فقد كان صعب على قريش ما بلغها عن النجاشي من حسن الجوار، ولم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم بُدا من أن يشير على أصحابه بالهجرة إلى الحبشة مرة أخرى(70).

إشاعة أن النبي ﷺ قتل يوم أحد: في معركة أحد أشاع الكفار أن الرسول ﷺ قتل، وأصل هذه الشائعة كلمة حاقدة أطلقها شيطان رجيم في هذا "الظرف الدقيق الذي خارت فيه عزائم كثير من الصحابة المطوقين، الذين لم يكونوا مع رسول الله ﷺ وانهارت معنوياتهم، حتى وقع داخل صفوفهم ارتباك شديد، وعمتها الفوضى والاضطراب"، وتفرق عنه أصحابه، ودخل بعضهم المدينة، وانطلق بعضهم فوق الجبل إلى الصخرة فقاموا عليها وألقى كثير منهم ما معهم من سلاح، ولكن "استطاع رسول الله ﷺ أن يشق الطريق إلى جيشه المطوق، وانطلق رسول الله ﷺ يدعو الناس: **"إلي عباد الله، إلي عباد الله"**، حتى انتهى إلى أصحاب الصخرة، فلما رأوه.. فرحوا حين وجدوا رسول الله ﷺ حيًّا، وفرحَ رسول الله ﷺ حين رأى أنّ في أصحابه من يمتنع به، فلما اجتمعوا وفيهم رسول الله ﷺ ذهب عنهم الحزن، فأقبلوا يذكرون الفتح وما فاتهم منه، ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا، وكان أول من عرفه كعب بن مالك فنادي بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أبشروا، هذا رسول الله ﷺ، فبلغ هذا الصوت إلى آذان المسلمين، فلاذ إليه المسلمون، وبعد هذا التجمع أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الانسحاب المنظم إلى شعب الجبل(71).

ونزل القرآن الكريم معقباً ومعلماً ومربياً وموجهاً للجماعة المؤمنة، فقال الله سبحانه وتعالى: **"وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ"** [آل عمران: 144].

قال ابن كثير: لما انهزم من انهزم من المسلمين يوم أُحُد، وقُتِل من قتل منهم، نادى الشيطان: ألا إن محمدًا قد قُتل، ورجع ابن قَمِيئَةَ إلى المشركين فقال لهم: قتلتُ محمدًا، وإنما كان قد ضرب رسول الله ﷺ فَشَجَّه في رأسه، فوقع ذلك في قلوب كثير من الناس، واعتقدوا أن رسول الله قد قُتل، وجوزوا عليه ذلك، كما قد قَصَّ الله عن كثير من الأنبياء، عليهم السلام، فحصل وهَن وضعف وتَأخر عن القتال ففي ذلك أنزل الله على رسوله ﷺ: **"وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ"** أي: له أسْوة بهم في الرسالة وفي جواز القتل عليه(72).

قال السعدي رحمه الله: أي: ليس ببدع من الرسل، بل هو من جنس الرسل الذين قبله، وظيفتهم تبليغ رسالات ربهم وتنفيذ أوامره، ليسوا بمخلدين، وليس بقاؤهم شرطا في امتثال أوامر الله، بل الواجب على الأمم عبادة ربهم في كل وقت وبكل حال، ولهذا قال: **"أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم"** بترك ما جاءكم من إيمان أو جهاد، أو غير ذلك، قال الله تعالى: **"ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا"** إنما يضر نفسه، وإلا فالله تعالى غني عنه، وسيقيم دينه، ويعز عباده المؤمنين، فلما وبخ تعالى من انقلب على عقبيه، مدح من ثبت مع رسوله، وامتثل أمر ربه، فقال: **"وسيجزي الله الشاكرين"**، والشكر لا يكون إلا بالقيام بعبودية الله تعالى في كل حال.

وفي هذه الآية الكريمة إرشاد من الله تعالى لعباده أن يكونوا بحالة لا يزعزعهم عن إيمانهم أو عن بعض لوازمه، فقدُ رئيس ولو عظم، وما ذاك إلا بالاستعداد في كل أمر من أمور الدين بعدة أناس من أهل الكفاءة فيه، إذا فُقد أحدهم قام به غيره، وأن يكون عموم المؤمنين قصدهم إقامة دين الله، والجهاد عنه بحسب الإمكان، لا يكون لهم قصد في رئيس دون رئيس، فبهذه الحال يستتب لهم أمرهم، وتستقيم أمورهم(73).

نقض قريظة للعهد مع رسول الله ﷺ في غزوة الأحزاب، وكيف تعامل النبي مع ذلك: أثناء غزوة الأحزاب وقد بلغ الأمر كما وصف الله في سورة الأحزاب: **"إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا"** [الأحزاب: 10]، سرت الشائعات بين المسلمين بأن قريظة قد نقضت عهدها معهم، وكان الرسول ﷺ يخشى أن تنقض بنو قريظة العهد الذي بينهم وبينه؛ لأن اليهود قوم لا عهد لهم ولا ذمة، ولذلك انتدب النبي ﷺ الزبير بن العوام؛ ليأتيه من أخبارهم فذهب الزبير، فنظر ثم رجع فقال: يا رسول الله: رأيتهم يصلحون

حصونهم ويدربون طرقهم(74)، وقد جمعوا ماشيتهم، وبعد أن كثرت القرائن الدالة على نقض بني قريظة للعهد أرسل سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وعبد الله بن رواحة وخوات بن جبير رضي الله عنهم، وقال لهم: **"انطلقوا حتى تنظروا أحقٌّ ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقًّا فالحنوا لي لحنًا أعرفه، ولا تفتوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس"**، فخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم قد نقضوا العهد، فرجعوا فسلموا على النبي ﷺ وقالوا: عضل والقارة(75)، فعرف النبي ﷺ مرادهم(76).

فانظر إلى حكمة النبي ﷺ !! يتثبت مرة بعد مرة من هذا الأمر الذي سيكون له ما بعده، ثم يوجه رسله أنهم إن رأوا الأمر كما أشيع، وأن قريظة قد نقضوا العهد فعلاً، فلا يشيعوا هذا في الناس حتى لا يفت في عضدهم ويضعفهم عن المواجهة، ويتعلق قلب كل منهم بأهله وماله في المدينة، فلما تأكدوا من الأمر، لحنوا لرسول الله ﷺ لحنا فهمه، ولم يؤثر على الآخرين...

وهكذا يجب أن يسلك المسلمون، التثبت أولا، ثم النظر في مصلحة نشر الخبر من عدمه، فيخرجون من الشائعة بأقل الخسائر، ويسلمون من ضررها.

رمي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالإفك (77):

تناولت آيات من سور النور أخطر شائعة مرت بالأمة الإسلامية، وكادت أن تفتك بها لولا فضل الله ورحمته، وهي حادثة الإفك، والسبب شائعة صدرت من منافق، قال تعالى: **"إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ "** [النور: 11] إلى آخر الآيات... كلها نزلت في شأن عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحت، والفرية التي غار الله تعالى لها ولنبيه صلوات الله وسلامه عليه، فأنزل الله عز وجل براءتها صيانة لعرض الرسول -عليه أفضل الصلاة والسلام- فقال: **"إن الذين جاءوا بالإفك عصبة"** أي: جماعة منكم، يعني: ما هو واحد ولا اثنان بل جماعة، فكان المقدم في هذه اللعنة عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين، فإنه كان يجمعه ويستوشيه، حتى دخل ذلك في أذهان بعض المسلمين، فتكلموا به، وجوزه آخرون منهم، وبقي الأمر كذلك قريبا من شهر، حتى نزل القرآن، وسياق ذلك في الأحاديث الصحيحة، ثم قال الله تعالى في كل من خاض ولاكَ لسانه هذه الشائعة ووقع فيها: **"لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ**

مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ" أي: لكل من تكلم في هذه القضية ورمى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بشيء من الفاحشة، نصيب عظيم من العذاب بحسب خوضه فيه وتناوله له، ثم يبين الله رحمته فقال: **"وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ"** أيها الخائضون في شأن عائشة، بأنه قبل توبتكم وإنابتكم إليه في الدنيا، وعفا عنكم لإيمانكم بالنسبة إلى الدار الآخرة **"لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ"** من قضية الإفك **"عذاب عظيم"**.

ثم يبيّن الله لنا كيف طارت هذه الشائعة في الناس، وهذا هو أسلوب نشر أي شائعة، فقال تعالى: **"إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ"** [النور: 15] أي: يرويه بعضكم عن بعض، يقول هذا: سمعته من فلان، وقال فلان كذا، وذكر بعضهم كذا، **"وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ"** أي: تقولون ما لا تعلمون، **"وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ"** أي: تقولون ما تقولون في شأن أم المؤمنين، وتحسبون ذلك يسيرا سهلا، ولو لم تكن زوجة النبي ﷺ لما كان هينا، فكيف وهي زوجة النبي الأمي، خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ﷺ.

ولقد أشاع المنافقون الإفك في أم المؤمنين عائشة انتقامًا من رسول الله ﷺ، وتشويهًا لفراش رسول الله ﷺ، وزعزعة لمقام النبوة، واشترك فيها المنافقون واليهود، وخاض بعض الصحابة في ذلك استعجالاً في تصديق ما قيل، وضعفا في إدراك عاقبة ذلك، ولقد عفا الله عن المؤمنين وتاب عليهم لما تابوا، حتى كشف الله الغمة ورفع الهمَّ، ونزلت براءة أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– من كل ما نسب إليها، فبرأ الله فراش النبي ﷺ، وانقلب أهل النفاق خائبين مفضوحين، وتعلم المسلمون درسا تربويا هاماً يبقى منهج حياة للأمة، وذكرى حسنة لمن رُميت بها واتُهمت بالباطل.

وشائعة أخرى حدثت في غزوة بني المصطلق: لما كانت غزوة بني المصطلق وخرج فيها المنافقون تحقق فيهم قوله تعالى: **"لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ"** [التوبة: 47]، فقد وجدوا متنفسا للتنفس بالشر، فأثاروا الارتباك الشديد في صفوف المسلمين، "وأرادوا أن يثيروا النعرات الجاهلية بين المسلمين ليفرقوا صفهم، ومما حصل في تلك الغزوة: أن رسول الله ﷺ بعد الفراغ من الغزوة كان مقيماً على المُرَيْسِيع، ووردت واردة الناس، ومع عمر بن الخطاب ﷺ أجير يقال له: جَهْجَاه الغفاري، فازدحم هو وسِنَان بن وَبَر الجهني على الماء فاقتتلا، فصرخ الجهني: يا معشر الأنصار، وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين، فقال رسول الله ﷺ: **"أبدعوى**

الجاهلية وأنا بين أظهركم؟! دعوها فإنها مُنْتِنَة"، وبلغ ذلك عبد الله بن أبي بن سلول فغضب -وعنده رهط من قومه، فيهم زيد بن أرقم غلام حدث- وقال: أو قد فعلوها، قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما نحن وهم إلا، كما قال الأول: سَمِّنْ كَلْبَكَ يَأْكُلْكَ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، ثم أقبل على من حضره، فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم، فأخبر زيد بن أرقم عمه بالخبر، فأخبر عمُّه رسولَ الله ﷺ وعنده عمر ﷺ، فقال عمر ﷺ: مُرْ عَبَّاد بن بشر فليقتله، فقال: **"فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؟ لا، ولكن أَذِّنْ بالرحيل"**، وذلك في ساعة لم يكن يرتحل فيها، فارتحل الناس، فلقيه أسيد بن حضير فحياه، وقال: لقد رحت في ساعة منكرة؟ فقال له: **"أو ما بلغك ما قال صاحبكم؟"** يريد ابن أبي، فقال: وما قال؟ قال: **"زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل"**، قال: فأنت يا رسول الله، تخرجه منها إن شئت، هو والله الذليل وأنت العزيز، ثم قال: يا رسول الله، ارفق به، فوالله لقد جاءنا الله بك، وإن قومه لينظمون له الخَرَز ليتوجوه، فإنه يري أنك استلبته ملكاً، ثم مشي بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصَدْر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس، ثم نزل بالناس، فلم يلبثوا أن وجدوا مَسَّ الأرض فوقعوا نياماً، فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث.

أما ابن أبي فلما علم أن زيد بن أرقم بلغ الخبر جاء إلى رسول الله ﷺ وحلف بالله: ما قلت ما قال، ولا تكلمت به، فقال من حضر من الأنصار: يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد أوهم في حديثه، ولم يحفظ ما قال الرجل. فصدقه، قال زيد: فأصابني هَمٌّ لم يصبني مثله قط، فجلست في بيتي، فأنزل الله: **"إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ"** إلى قوله: **"هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا"** إلى **"لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ"** [المنافقون: 1 ـ 8]، فأرسل إلي رسول الله ﷺ فقرأها علي، ثم قال: **"إن الله قد صدَّقك"**[78].

ما أشيع على الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه حتى انتهى الأمر إلى قتله شهيدا مظلوما: ومن الشائعات التي كان لها أثرها السيء على الأمة، ولا تزال الأمة تعاني من شرها وضررها إلى يومنا هذا تلك الشائعات التي اصطنعها أهل الفتنة والنفاق في حق الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأشاعوها في الناس، وتأثر بها الرعاع والدهماء ومن في نفوسهم شر حتى صار لهم شأن وشوكة،

وأدت في غاية أمرها إلى قتل الخليفة الشهيد بعد حصاره في بيته وقطع الماء عنه، بل إن من آثار هذه الفتنة أن قامت حروب بين الصحابة ، كمعركة الجمل وصِفين، فمن كان يتصور أن الشائعة تفعل كل هذا، بل خرجت على إثرها الفتن، وظهرت البدع، وأطل أهلها برؤوسهم، مع ما صاحبها من القلاقل الكثيرة، التي لا تزال الأمة الإسلامية تعاني من آثارها إلى اليوم(79).

وأصل هذه الفتنة إشاعات السوء الكاذبة والمغرضة، وتضليل ضعفاء الأحلام وسفهاء العقول وهكذا أول ما تكون الفتن بالشائعات وكثرة القيل والقال، وإبراز الأخطاء والترويج لها، وتحوير الحقائق عن وجهها، وكثرة النقد غير البناء، وتضخيم المساوئ، والقليل من شأن الإيجابيات، ويتسع الأمر في الفتنة ليصل إلى احتقار كل من لم يوافق على الشائعة، ويحصل التطاول على العلماء والفضلاء والعقلاء، ويتهمون في دينهم وعقولهم وآرائهم وولائهم، حتى تنسل ثقة الناس بهم، وإذا نزعت الثقة من العلماء والعقلاء فإنه يُنتظر الشر العظيم، والبلاء الوخيم، فإذا وجد من ينصح ويأمر بالتثبت ويفند الأمور على وجهها الصحيح اتهم بالجهل أو العمالة أو الجبن والخور، ويقال: أنت تريدنا أن نكون صماً بكماً أذلاء، ولا بد من الحرية والتحرر، ونحو ذلك من الكلام، فدعاة الفتن ومروجو الشائعات يحتقرون الناصحين من العلماء والعقلاء، ولا يبالون بجماعة المسلمين، ولا علم لهم ولا فهم لينظروا في عواقب الأمور ومآلاتها، وقد يبلغ الحد ببعض هؤلاء المفتونين أن يقول: لم يبق عالم نثق به، أو يقول: العالم الفلاني لا يفقه الواقع، وربما اتهمه بالعمالة أو طلب الدنيا أو التزلف للسلطان أو نحو ذلك مما سمعنا ونسمع، ومراد هذا المفتون صد الناس عن سماع كلام العلماء، وتصديق ما في رأسه من أفكار وما يردد من كلام وقيل وقال و دعاوى وأكاذيب... بعد نزع الثقة بالعلماء ممن يصدقه ويجتمع معه على الفكرة نفسها... وإلا فيمكن أن نقول: كيف ترمي العلماء بعدم فقه الواقع، وأنت لا تفقه الشرع، ولا تعرف مقاصد الشريعة حتى تنزلها على الواقع، ولا تقدر على تقدير المصالح والمفاسد فيما تقدم عليه أو تحجم عنه... وكأني بهؤلاء يريدون أن يكونوا معلمين للعلماء، ويزعمون أنهم أعرف من العلماء بالمصالح والمفاسد، وكل ذلك يدعو إلى الحذر، فقد يكون هناك كلمة حق يراد بها باطل، وكم من مريد للخير لا يصيبه، والخير كله في التزام منهج الله في هذه الأمور وغيرها، **"وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ"** [البقرة: 216، 232]، [آل عمران: 66]، [النور: 19].

وأعداء الإسلام يدخلون السموم على المسلمين من هذا الباب، ويزعمون أن هذا من حرية الفكر وحرية التعبير، وحرية الصحافة، ونضج العقول، ووعي الشعوب، وهم لا يريدون إلا الفتنة بالمسلمين، ومن قرأ التاريخ ونظر إلى الواقع يجد العبر... وأعجبتني كلمة للجاحظ يقول فيها: "الحكيم هو الذي يبين أسباب الأمور ويمهد لعواقبها، وإنما يحمد العلماء بحسن التثبت في أوائل الأمور، واستكشافهم ما يجيء به العواقب، وبقدر تفاوتهم في ذلك تستبين فضائلهم، وأما معرفة الأمور عند تكشفها فذلك أمر يعتدل فيه الفاضل والمفضول، والعالمون والجاهلون"، وقبله قال الحسن البصري رحمه الله: إن هذه الفتنة إذا أقبلت عرفها كل عالم وإذا أدبرت عرفها كل جاهل(80).

إن من يتولى كِبْر الشائعات وترويج الأكاذيب وقلب الحقائق لا يعرف قدر مسئولية الكلمة، ولا أثرها، فالحرية لا تعني الخوض في الباطل، أو الاستطالة في أعراض الآخرين، أو الكلام بما تكون مفسدته أعظم من مصلحته، فالإنسان مسئول أمام الله عز وجل عما يقول وعما يفعل، قال تعالى: **"مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ"** [ق: 18]. وقال تعالى: **"إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا"** [الإسراء: 36]. ورسول الله ﷺ يقول: **"إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفع الله بها درجات وإن العبد ليتكلم** بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم"(81).

من أسباب موقعة الجمل بين الصحابة: وفي الليلة الأخيرة قبل نُشوب حرب الجَمَل توصل أصحاب رسول الله ﷺ من الفريقين إلى التفاهُم على ما يُرضي الله عز وجل، من إقامة الحدود الشرعية على مَن يثبُت عليه أن له يدًا في مصرع أمير المؤمنين عثمان، وبات أبناء كل فريق في معسكر الفريق الآخر بأنعم ليلة وأسعدها، وأرضاها لله، فما كان من القَتَلة ومَن يتبعهم من قبائلهم إلا أن أنشبوا القتال في الصَّباح الباكر، وأشاعوا في كل معسكر من المعسكرين بأن المعسكر الثاني هو المهاجِم له على خلاف ما اتفقوا عليه بالأمس، وبذلك كانت الشائعات بين الطرفين أفتْكَ بهما، وأضر على الإسلام من أسلحة البُغاة الفاتكة(82).

المبحث الخامس: المنهج النبوي في التعامل مع الشائعات والحد من آثارها

لا شك أن اتباع منهج النبي ﷺ في كل أمر هو الواجب، وعلى قدر الاهتداء به تكون الهداية والفلاح، **"وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا"** [النور: 54]، **"وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ"** [الأعراف: 158]، ومن ذلك

معرفة هديه في التعامل مع الشائعات، وكيفية مواجهتها ومعالجة آثارها، وسنقف هنا مع بعض تلك المعالم لعلها تكون نبراسا لنا وهداية:

أولاً: وجوب التثبت والتبين: يجب على الإنسان المسلم إذا سمع خبرا ألا يعجل في تصديقه وبناء موقف أو اتخاذ قرار، عملا بقول الله تعالى: **"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ"** [الحجرات: 6]، ويتأكد الأخذ بهذا المبدأ عند اختلال الأمن؛ وتوقع المخاوف، فلا بد أن يتبين ويتثبت أولاً، فإن لذلك فوائد كثيرة جداً منها: أنه دليل على رجاحة العقل وسلامة التفكير، وأنه سبب في حفظ الأرواح وصيانة الدماء، ويثمر الثقة بالنفس، والتبين يحفظ حقوق الأفراد والجماعات ولا يجعلها عرضة للظن، ويقي المجتمع من مخاطر القرارات السريعة غير المدروسة(83).

وقبل التثبت ومعه وبعده يكون **التأني والتروي**، يقول النبي ﷺ: **"التأني من الله، والعجلة من الشيطان"**(84)، وقال الشاعر:

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزللُ

وقد رأينا فيما سبق كيف كان النبي ﷺ يتثبت من كل ما يصل إليه من شائعات.

ولنتأمل هذا الجزء من حديث حادثة الإفك وما فيه من التثبت والتحري والأناة والصبر وحسن الظن الذي كان عليه نبينا ﷺ في شائعة تنال من عرضه وفراشه وشخصه الشريف: تقول عائشة: فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة ابن زيد حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله، فأما أسامة فأشار عليه بالذي يعلم في نفسه من الود لهم، فقال أسامة: أهلك يا رسول الله ولا نعلم والله إلا خيرا، وأما علي بن أبي طالب، فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وسل الجارية تصدقك، فدعا رسول الله ﷺ بريرة، فقال: **"يا بريرة هل رأيت شيئا يريبك؟"** فقالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق إن رأيت منها أمرا أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن العجين فتأتي الدواجن فتأكله، فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول، فقال رسول الله ﷺ: **"من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا، وقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا، وما كان يدخل على أهلي إلا معي"**، فقام سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله، أنا والله أعذرك منه؛ إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج

أمرتنا ففعلنا فيه أمرك، فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلا صالحا، ولكن احتملته الحمية، فقال: كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك، فقام أسيد بن الحضير، فقال: كذبت لعمر الله، والله لتقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا ورسول الله ﷺ على المنبر، فنزل فخفضهم حتى سكتوا وسكت، وبكيت يومي لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، فأصبح عندي أبواي قد بكيت ليلتين ويوما حتى أظن أن البكاء فالق كبدي، قالت: فبينا هما جالسان عندي وأنا أبكي إذ استأذنت امرأة من الأنصار فأذنت لها، فجلست تبكي معي، فبينا نحن كذلك إذ دخل رسول الله ﷺ، فجلس ولم يجلس عندي من يوم قيل في ما قيل قبلها، وقد مكث شهراً لا يوحى إليه في شأني شيء، قالت: فتشهد، ثم قال: **"يا عائشة، فإنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بشيء فاستغفري الله وتوبي إليه؛ فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه "**.

فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة، وقلت لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ، قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله ﷺ فيما قال، قالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، قالت: وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن، فقلت: إني والله لقد علمت أنكم سمعتم ما يتحدث به الناس، ووقر في أنفسكم وصدقتم به، ولئن قلت لكم إني بريئة -والله يعلم إني لبريئة- لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر -والله يعلم أني بريئة- لتصدقني، والله ما أجد لي ولكم مثلا إلا أبا يوسف إذ قال: **"فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ"** [يوسف: 18]، ثم تحولت إلى فراشي وأنا أرجو أن يبرئني الله، ولكن والله ما ظننت أن ينزل في شأني وحيا، ولأنا أحقر في نفسي من أن يتكلم بالقرآن في أمري، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله.. الحديث(85).

وعندما أشيع أن النبي ﷺ طلق نساءه كما في حديث عمر بن الخطاب المتفق عليه، حين بلغه أن رسول الله ﷺطلق نساءه، فجاءه من منزله حتى دخل المسجد فوجد الناس يقولون ذلك، فلم يصبر حتى استأذن على رسول الله ﷺ فاستفهمه: أطلقت نساءك؟ قال: **"لا"**، فقلت: الله أكبر، وذكر الحديث بطوله.

وعند مسلم: فقلت: أطلقتهن؟ فقال: **"لا"**، فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي: لم يطلق رسول الله ﷺ نساءه، ونزلت هذه الآية: **"وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ"** [النساء: 83]، فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر [86].

فعمر –رضي الله عنه– تثبت من الخبر من مصدره، ثم أعلن الحقيقة للناس ليقطع الطريق على هذه الشائعة أن تتردد بينهم، وهكذا ينبغي أن نتعامل مع ما يصلنا من أخبار... وهذا يستدعي البعد عن الظنون المتوهمة غير المتيقنة؛ والتخرُّصات الفارغة من الدليل الظاهر، والخبر المظنون هو الذي لا يعتمد على دليل وبرهان، ولا قرائن أحوال صحيحة، وإنما يعتمد على التحليلات المتوهَّمة، والتخيُّلات الفارغة، والقرائن الضعيفة، التي تأتي من مصادر غير موثوقة ديناً وخلقاً، ولا إسناداً تتوافر فيه شروط صفات القبول، التي في مقدمتها العدالة والضبط، وقد ذَمَّ الله عز وجل الذين يعتمدون على هذا المبدأ في اعتماد الخبر بقوله: **"إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ"** [الأنعام:116]، **"إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إَلاَّ تَخْرُصُونَ"** [الأنعام: 148]، **"مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ"** [الزخرف: 20].

ثانياً: الكف عن نقل الشائعات ولزوم حسن الظن بالآخرين، وخاصة إذا كانوا معروفين بالخير والصلاح، وبهذا أدب الله المؤمنين عقب حادثة الإفك، فقال: **"لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِين"** [النور: 12]، ومعنى الآية: قاسوا ذلك الكلام على أنفسهم، فإن كان لا يليق بهم فأم المؤمنين أولى بالبراءة منه بطريق الأولى والأحرى[87].

فهذا يدل على أنه ينبغي للإنسان أن يكف عن الشائعة، وألاَّ يعتني بنقلها، وأن يقدم حسن الظن بأخيه المسلم، وهو طلب الدليل الباطني الوجداني، وأن ينزل أخيه المسلم بمنزلته، وهذه هي وحدة الصف الداخلي.

وحسن الظن عامل من عوامل التماسك الاجتماعي والترابط بين أفراد المجتمع، يؤدي إلى غرس الثقة بين أبناء المجتمع، فحينما يكون المجتمع متماسكا مترابطا على الحق وبالحق وفي الحق فلا مجال حينئذ لتسريب الشائعات بين الناس، بسبب قوة الترابط، وحسن الظن، حمل بعضهم بعضا على المحمل الحسن .

فالواجب على المسلم أن يكون سليم الصدر لإخوانه المسلمين خُصوصًا ولاة أمورهم وعلماءَهم ودعاتِهم والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر وأهلَ الخير والصلاح، بل وجميع عموم المسلمين والمسلمات، فإحسان الظن واجب، وإساءة الظن بالمسلمين محرمة شرعًا، قال تعالى: **"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ"** [الحجرات: 12].

وفي الحديث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: **"إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تباغضوا، وكونوا إخوانا، ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك"**(88).

ويدخل في حسن الظن التماس العذر، فإذا بلغك عن أحد كلام أو سمعته وتوثقت من صحته، فالواجب عليك أن تحمله على أحسن المحامل، وأن تبحث له عن الأعذار، فربما يكون له عذر أو أمور قد احتفت بها القرائن، فيكون لكلامه أو لتصرفه عذر تعذره به، فلا تظن بأخيك شَرًّا وأنت قادر على أن تحمل كلامه أو فعله على أحد مَحامل الخير.

ثالثاً: طلب الدليل والبرهان على ما قيل أو يقال: وهذا ما علمنا الله إياه وأمرنا به، فقال: **"لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ"** [النور: 13].

إن علينا أن نكون يقظين في تلقي هذه الأخبار، ولا يشفع لقبولها ملاقاتها لرغباتنا وأمانينا وأحلامنا، فلنا -نحن المسلمين- منهجية راسخة في التثبت، وينبغي أن تكون مطردة فيما نحب ونكره، وإذا كان هناك من استجازوا اختلاق هذه الشائعات بأنواع التأويلات فإن علينا أن نرفض جعل أنفسنا رواحلا لنقلها وتسويقها.

قد يكون في اختلاق الشائعات وسرعة تصديقها مهربٌ نفسي لبعض الناس أمام واقع لا يرضاه المرء، ولا يستريح إليه، فتجد النفس سلوتها في تكذيب مالا يروق لها، واختلاق الشائعات وترويجها، إلا أنها- في النهاية- ترضخ لسلطان الحقيقة القاهر... ولكن هذه الحيلة النفسية لا تصلح أن تكون مهرباً لأتباع محمد ﷺ الذي علمهم فضيلة الصدق وأمرهم بتحريه فقال: **"إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى**

يكتب عند الله كذاباً"[89]. ثم إن الاعتراف بالحقيقة أولى الخطوات في معالجة الأزمات وتجاوزها، كما أن مغالطتها وسترها أعظم أسباب تكريسها وتجديدها ومعاودتها، يقول سيد قطب رحمه الله: لأن حقيقة أي شيء أقوى من "مظهر" أي شيء، ولو كانت هي حقيقة الكفر، وكان هو مظهر الإيمان![90].

وعلينا أن نَحْذر من جهالة المصدر، وليس خبر أهم من أخبار السنة النبوية، ومع ذلك فليس من منهج المسلمين قبولها من المجاهيل، ولذا فلا بد من تلقي الأخبار من مصدر موثوق، فإن لم يكن موثوقاً فلا أقل من أن يكون معلوماً، بحيث ينال شرف الصدق، ولا تلحقه معرة **"الكذب"** و**"زعموا"**، وبئس المطية هي، ولا يشفع لهم زعمهم أنها من الكذب في الحرب وهو مباح، ويتجاهلون -ولا يجهلون- أن القدر المباح من الكذب في الحرب هو الذي يضلل الأعداء، وليس الذي يُسَوَّق الوهم ويُغَرِر بالمسلمين.

رابعا: وجوب رد الأمر إلى أولي الأمر وهم أهله المختصون به والعارفون بحقيقته: وألا يشيعه بين الناس أبداً، وهذه قاعدة عامة في كل الأخبار المهمة، التي لها أثرها الواقعي، **أن لا يتحدث المسلم بما سمعه ولا ينشره**، فإن المسلمين لو لم يتكلموا بمثل هذه الشائعات لماتت في مهدها ولم تجد من يحيها إلا من المنافقين: **"وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ"** [**النور**: 16]، فالإعراض عن اللغو بالامتناع عن التخوّض في أي حديث لا ثمرة فيه أو مصلحة أو منفعة خاصة أو عامة، كل ذلك نستطيع به التضييق على الشائعة وحصرها في أضيق نطاق، ثم نرد الأمور إلى أهلها ومن لديهم العلم لبيان وجه الحق والصواب فيه، كما قال تعالى: **"وإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ولَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ..."**، فالاسترشاد بذوي الرأي والخبرة والتخصص في حل المعضلات من الأخلاق التي تمثل عناصر مقاومة ووقاية للأمة من آفة الشائعات.

وقال العلامة القاسمي في تفسيره "محاسن التأويل" ذاكراً مفاسد سرعة إذاعة الأخبار من غير رَوِيّة:

الأول: أن هذه الإرجافات لا تنفك عن الكذب الكثير.

والثاني: أنه إن كان ذلك الخبر في جانب الأمن، زادوا فيه زيادات كثيرة، فإذا لم توجد تلك الزيادات، أورث ذلك شبهة للضعفاء في صدق الرسول ﷺ، لأن المنافقين كانوا يروون تلك الإرجافات عن الرسول ﷺ، وإن كان ذلك في جانب الخوف، تشوش الأمر بسببه على ضعفاء المسلمين، ووقعوا عنده في الحيرة والاضطراب، فكانت تلك الإرجافات سبباً للفتنة من هذا الوجه

الثالث: أن الإرجاف سبب لتوفير الدَّواعي على البحث الشديد والاستقصاء التام، وذلك سبب لظهور الأسرار، وذلك مما لا يوافق مصلحة المدينة.

والرابع: أن العداوة الشديدة كانت قائمة بين المسلمين والكفار، فكل ما كان أمناً لأحد الفريقين كان خوفاً للفريق الثاني، فإن وقع خبر الأمن للمسلمين وحصول العسكر وآلات الحرب لهم، أرجف المنافقون بذلك، فوصل الخبر في أسرع مدة إلى الكفار، فأخذوا في التحصن من المسلمين، وفي الاحتراز عن استيلائهم عليهم، وإن وقوع خبر الخوف للمسلمين بالغوا في ذلك، وزادوا فيه، وألقوا الرعب في قلوب الضعفاء والمساكين، فظهر من هذا أن ذلك الإرجاف كان منشئاً للفتن والآفات من كل الوجوه، ولما كان الأمر كذلك ذَمَّ الله تعالى تلك الإذاعة وذلك التشهير، ومنعهم منه(91).

وهكذا فعل زيد ابن أرقم وعمه في ما أثاره عبد الله ابن أبي، فأخبر زيد بن أرقم عمه بالخبر، فأخبر عمه رسول الله ﷺ وعنده عمر... ليرى رأيه فيما قيل، ويأمر بما فيه صلاح الأمر... وفعلا حصل ذلك من رسول الله ﷺ.

خامساً: إشغال الناس عن الشائعة بأمر يصرفهم عنها، وعن الخوض فيها، ففي حادثة بني المصطلق التي أثارها ابن أبي، وتوعد الرسول ﷺوأصحابه بقوله: **"ليخرجن الأعز منه الأذل"**، وعندما بلغت النبي ﷺ، وأدرك أنه سيكون لها أثر سيئ على الناس.. ماذا فع؟

أمر الناس بالرحيل في ساعة ما كان يرتحل فيها، ومشي بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصَدْر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس، ثم نزل بالناس، فلم يلبثوا أن وجدوا مَسَّ الأرض فوقعوا نياماً، فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث:

ما أحسن الشغل في تدبير منفعة أهل الفراغ ذوو خوض وإرجاف

سادساً: حسن الظن بالله والثقة به وقوة التوكل عليه: فلنتأمل معا قوله تعالى: **"الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ"** [آل عمران: 173، 174].

فهؤلاء قوم مؤمنون حاول أعداؤهم إيهامهم بما يلقون في أسماعهم من أقاويل تهوِّن من عزائمهم، وتهوِّل من قوة أعدائهم ومدى استعدادهم للحرب، وكل ذلك كان من صنع خيال المروِّجين والمرجفين الذين كان هدفهم تثبيط عزائم المؤمنين وتخذيلهم حتى يخوروا ويجبنوا، فلا يتأهبون للقاء عدوهم، ولكن المؤمنين قابلوا ذلك بصدق التوكل على الله والاعتماد عليه والتفويض إليه، فوقاهم الله شر ما مكروا، وانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء.

سابعاً: تكذيب الشائعة، ويفضل أن يكون تكذيب الشائعة من الجهة أو الشخص الذي تتعلق به الشائعة أو من شخصيات معروفة ومقبولة، ولها صدى في أوساط الجماهير، كما كان يفعل رسول الله ﷺ حيث تصدى بنفسه لتكذيب كثير من الشائعات التي روَّجها المشركون واليهود والمنافقون.

وهناك نوع من الشائعات ينبغي أن يُحبط بالحجة لا بمجرد التكذيب، كما فعل رسول الله ﷺ في غزوة أحد عندما أشيع خبر استشهاده، حيث ظهر للناس بشخصه، وبذلك أحبط تلك الشائعة.

ثامناً: التأكيد على الحكم الشرعي لتداول الشائعات ومعاقبة من عرف بترويج الشائعات للفتنة بين المسلمين: إن النصوص الشرعية تظهر بأن الشائعة هي كذب وافتراء وقذف ونميمة ورمي، وأخبار غُيرت عن وجهها....، فإن الحكم الشرعي هو عدم جواز نشر الشائعة وترويجها بين المسلمين، ووجوب حفظ اللسان؛ لحرمة المسلم على أخيه المسلم، وضررها على وحدة الصف الإسلامي وتماسكه، قال الله جل وعلا:: **"وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا"** [الإسراء: 36]، وقال النبي ﷺ: **"مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ"**، وهذا علاج ناجع يقطع دابرها، ويُطفئ نارها، ويميت شَرَّها في مكانه، فإذا وصلت إليك أَمِتْها بأن تحفظ لسانك، ولا تتكلم بها، ولا تَرْضَى لأحدٍ أن يتكلم بها.

وعلى وُلاة الأمر أن يتصرَّفوا فيمَن يثبت عليهم ذلك؛ وَفقًا لحُكم الله تعالى حين يقول لنبيِّه: **"لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا. مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا "** [الأحزاب: 60-61].

إن المنافقين يعملون لغاية واحدة، هي تمزيق الشمل، وتشتيت الجمع، وتفريق الكلمة، وإشاعة الكراهية بين الحاكم والمحكوم، وإلقاء العداوة بين المؤتمين والمأموم، وهم بهذا يعملون للفتنة ومن أجلها، فإذا ما تحققت غايتهم، فإنَ الفتنة لا تصيبهم وحدهم، ولا تصيب طائفة دون أخرى، وإنما تصيب الأمة بأسرها، وقد حذَرنا الله تعالى منهم، ومِن فتنتهم، فقال جلَّ شأنُه: **"وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً"** [الأنفال: 25]، واتِّقاء الفتنة يكون بدفعها وإدحاضها، وإنزال العقوبة الرادعة على كل من يثبت عليه أنه كان سببًا فيها، أو في عنصر من عناصرها.

ومن هنا نرى أنه لا سبيل إلى الهوادة أو المهادنة في إقامة الحد على هذه الجريمة النَّكراء؛ جريمة إحداث الفتنة بين الصفوف مناصرة لعدو البلاد الأكبر، وهو المستعمِر الغاصب.

تاسعاً: اعتزال مصادر الشائعات والإعراض عن مروجيها: يجب على المسلم الإعراض عن المرجفين في الأرض، واعتزال مصادر هذه الأراجيف والشائعات، من قنوات وإذاعات وصحف ونشرات، حتى يسلم من هذ الشر والفساد، ويمكن الاستدلال على هذا بعموم قوله تعالى: **"وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ"** [الأنعام: 68]، وقوله عز وجل:**"لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلا قَلِيلًا"** [الأحزاب: 60]. فالمنافقون وأهل الأهواء حريصون كل الحرص على أن تصل شائعاتهم إلى كل أحد، وأن تؤثر أراجيفهم في كل من تصل إليه فيجب الحذر من ذلك.

عاشراً: إدراك عظم خطر الشائعة وضررها: لأن من أدرك عِظم الضرر الذي يقع عليه وعلى المسلمين من تلك الشائعات، أدرك خطرها، وحرص ألا تكون وسيلة لنشرها وترويجها، فقد يكون في هذه الشائعة إشاعة للفاحشة بين الناس عن طريق إشهار أماكن الفساد والدعارة، فيتحرك من في قلبه مرض يبتغي الفساد والإفساد، وقد يكون فيها إفساد لذات البين بين طرفين، وربما يؤدي إلى القتل والاقتتال، وربما يكون فيها توهين لعزائم المؤمنين، وإضعاف لهممهم، وقد يكون فيها إدخال للحزن في قلوب فريق من المؤمنين، وقد يكون فيها صد عن سبيل الله أو عن سنة من سنن رسول الله ﷺ أو قد يكون فيها تشجيع للأعداء وتقوية لهم ضد المسلمين أو غير ذلك من المفاسد التي لا حصر

لها، قد يكون فيه غيبة لأحد المسلمين، أو طعنا في عرض مسلم صالح أو عالم ناصح أو داعية موفق، أو غير ذلك.

حتى لو كانت تلك الأخبار التي تنشر من قبيل الصدق فلا يحق لك أن تشيع عن أصحابها وتفضحهم، فالدين النصيحة، وليس الفضيحة، يقول بعض العلماء لمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر: اجتهد في ستر العصاة، فإن ظهور عوراتهم وَهَن في الإسلام، وأحق شيء بالستر العورة، والأصل الستر على الناس: يقول ﷺ : **"لا يستر عبد عبداً في الدنيا ، إلا ستره الله يوم القيامة"**(92).

وإن من خطورة الشائعة أنها سبب رئيس في إراقة الدماء وتضييع الحدود وانفلات الأمن، بسبب الهرج والمرج، واختلاط الأمور واشتباه الحق بالباطل، وحصول التعصبات البغيضة، عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ: **"لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس زمان لا يدرى القاتل فيما قتل، ولا المقتول فيما قتل، فقيل: كيف يكون ذلك؟ قال: "الهرج، القاتل والمقتول في النار"**(93).

ثم إن الفتنة إذا وقعت عجز العقلاء فيها عن دفع السفهاء، فصار الأكابر عاجزين عن إطفاء الفتنة وكف أهلها، وهذا شأن الفتن، كما قال تعالى: **"واتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً"** [الأنفال: 25]، وإذا وقعت الفتنة لم يسلم من التلوث بها إلا من عصمه الله.

وأخيرا، إذا كنا خسرنا جوانبا من المعركة، فإن علينا ألا نخسر الصدق الذي هو رأس مالنا في التعامل مع الناس، وسيطول استغراب الناس وعجبهم إذا اكتشفوا أن هذه الأخبار الكاذبة كانت تنقل إليهم عبر وسيط صالح، ومن جُرَّب عليه الكذب، أو نَقْل الكذب وصدقوه فلن يكون محلاً للثقة بعد، كما سيفجع الطيبون فيرتابون في الراوي الذي كان الصلاح يظهر عليه، لأنه كان يحدثهم بهذه الأخبار ويؤكدها لهم، وكذلك سيشمت آخرون، لهم موقف من الصالحين ليقولوا: هذه أخبارهم، وهذه مصداقيتهم ! وسيجدون فرصة في تعميم هذا الخطأ، ووصف طلائع الدعوة والدعاة

كلهم بهذا السلوك.. فـ"**تحروا الصدق وإن رأيتم أن فيه الهلكة؛ فإن فيه النجاة واجتنبوا الكذب وإن رأيتم أن فيه النجاة؛ فإن فيه الهلكة**"(94).

وكما نتواصى بعدم نقل هذه الأخبار، فإن علينا تبصير من ينقلونها بطيبةٍ وحسن قصد، ومواجهتهم بالحقيقة، وعدم مجاملة المشاعر على حساب العقل والنقل، وانتشالهم من قلق المغالطة، إلى وضوح الحقيقة، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة.

الخاتمة: وبعد هذه الجولة السريعة في جنبات هذا البحث لعله قد تبين لنا: حقيقة الشائعات وخطرها، وآثارها السيئة على الفرد والجماعة . كما أبرز البحث جملة من الأسباب والدواعي والأغراض التي تكون وراء ترويج الشائعات، وجملة مما يساعد على اتساع نطاقها. وظهر لنا أيضا بيان المنهج الصحيح الواجب اتباعه في التعامل مع الشائعات. إذ كان المنهج النبوي هو المنهج الراشد القويم في التعامل مع الشائعات. فنوصي أنفسنا وإخواننا بمطالعة كتب السيرة ومصادر السنة النبوية، وإمعان النظر فيها للاهتداء بهدي سيد المرسلين محمد ﷺ في كل شؤونه ومنها في تعامله مع الشائعات، وكيف كان يخرج منها بأقل الخسائر، فيعود مروجو الشائعات خائبين لم ينالوا خيرا.

ومن المناسب في ختام هذه الوقفة التأكيد على أمرين كبيرين، هما:

الأول: وجوب التثبت في كل ما يصل إلى السمع، ومعرفة مصدر الخبر، وصحته من خطئه، وصدقه من كذبه، عملا بالأدلة التي توجب التثبت، وعدم العجلة في تصديق الأخبار أو الاعتماد على مبدأ "زعموا" فبئس مطية الرجل زعموا.

والثاني: يكون بعد التأكد من صحة الخبر ووثوق مصدره، وهو النظر في المصلحة من نشره أو عدم نشره، فليس كل ما يُعلم يقال، وقد تكون المصلحة في كتمانه وطيه وعدم نشره، والشريعة جاءت لجلب المصالح وتكثيرها، ودرء المفاسد وتقليلها.

والله نسأل التوفيق لنا ولجميع إخواننا المسلمين لما يحب ويرضى، والحمد لله رب العالمين.

الهوامش والإحالات:

1) جزء من حديث روي عن أبي الدرداء مرفوعا، وضعفه الألباني في ضعيف لجامع الصغير رقم 2236، وعزاه للطبراني [طبع المكتب الإسلامي –بيروت، ط / الثالثة، سنة 1408 هـ – 1988 م]، ولم أجده بهذا اللفظ، وفيه من حديث ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من قال: «**سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر**

كتب له بكل حرف عشر حسنات، ومن أعان في خصومة باطل لم يزل في سخط الله حتى ينزع، ومن حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله في أمره، ومن بهت مؤمنا أو مؤمنه حبسه الله في ردغة الخبال يوم القيامة حتى يخرج مما قال وليس بخارج»، وقال: لم يرو هذا الحديث عن عطاء الخرساني عن حمران إلا القاسم بن أبي بزة ولا رواه عن القاسم بن أبي بزة إلا فطر ولا رواه عن فطر إلا عمار بن رزيق تفرد به أبو الجواب. المعجم الأوسط للطبراني 6 / 309 رقم 6491 [تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسين، دار الحرمين، القاهرة سنة 1415هـ]، ونحوه في شعب الإيمان للبيهقي 5 / 305 رقم 6736، و 6 / 121 رقم 7673. وسيأتي بقية الكلام عليه لاحقا في صفحة 15 إن شاء الله تعالى.

2) ما بين المعقوفتين من النهاية في غريب الحديث لابن الأثير الجزري، مادة (شيع) [طبع دار ابن الجوزي، السعودية، تحت إشراف: علي حسن على عبد الحميد ط / أولى عام 1421هـ].

3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (شيع).[تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م].

4) ينظر: إبراهيم مصطفى وآخرين، الصحاح في اللغة، والمعجم الوسيط مادة (شيع). دار الدعوة، تحقيق/ مجمع اللغة العربية.

5) النهاية في غريب الأثر، مادة (رجف).

6) ابن كثير، التفسير، 6 / 483، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر، ط / 2،1420هـ - 1999 م.

7) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص 671)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ -2000 م.

8) ينظر: الدكتور زيدان عبد الباقي، وسائل وأساليب الاتصال، ص 450، 451، الطبعة الثانية.

9) ابن منظور، لسان العرب، 8/ 191 مادة (شوع) [إعداد وتصنيف يوسف خياط، دار لسان العرب ـ بيروت].

10) وذلك أن زيادة حرف في الكلمة أو حذفه، أو قلبه يعطي معنى مغايرا للكلمة، وقد أفرد العالم اللغوي أبو هلال العسكري كتابا في هذا أسماه: «الفروق اللغوية».

11) ينظر: القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة (على هامش المصحف) إشراف ومراجعة وتدقيق محمد كريم راجح ص516.

12) ينظر: ابن جرير الطبري، التفسير، 22 / 286 – 289 [جامع البيان في تأويل القرآن للطبري، تحقق أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م]، وتفسير ابن كثير 7 / 370، وتفسير السعدي ص 799.

13) أخرجه البيهقي 9 / 54 رقم18434 واللفظ له [سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي 384هـ -458 هـ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا.، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة 1414هـ، 1994م]، وأخرجه أحمد في مسنده 30 / 403 رقم 18459 [، مؤسسة قرطبة، مصر، بدون تاريخ]، والطبراني المعجم الكبير 3 / 274رقم 3395، من حديث الحارث بن ضرار الخزاعي وسياقها أطول مما عند البيهقي، وقد أخرجه الطبراني مختصرا برقم 4، ورقم 404 [تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط / الثانية 1404هـ - 1983م]. وقد ذهب إلى ذلك كثير من المفسرين، وهذا القول فيه نظر؛ فإن

الروايات التي ساقت القصة معلولة، وأحسنها رواية أحمد عن الحارث بن ضرار الخزاعي، وفي إسنادها مجهول، وقد أنكر القاضي أبو بكر بن العربي في كتابه «العواصم من القواصم» (ص102) هذه القصة قال: وقد اختلف فيه، فقيل: نزلت في ذلك -أي في شأن الوليد، وقيل: في علي والوليد في قصة أخرى- وقيل: إن الوليد سيق يوم الفتح في جملة الصبيان إلى رسول الله ﷺ فمسح رؤوسهم وبرك عليهم إلا هو، فقال: إنه كان على رأسي خلوق، فامتنع ﷺ من مسه، فمن يكون في مثل هذه السنن يرسل مصدقا؟! وبهذا الاختلاف يسقط العلماء الأحاديث القوية، وكيف يفسق رجل هذا الكلام؟ فكيف برجل من أصحاب محمد ﷺ، وللشيخ عبد الرحمن المعلمي رحمه الله كلام على الوليد بن عقبة في الأنوار الكاشفة (ص263) أثبت فيه أنه لم يؤثر له رواية عن رسول الله ﷺ، ومن جملة ما نفاه هذا الحديث الذي ذكره ابن العربي. انظر حاشية تفسير ابن كثير 7 / 372. وهناك بحث متين وتحقيق قوي للدكتور طه ياسين الخطيب حول قصة سبب النزول هذه، نشر في العدد الأول لمجلة الباحث الجامعي الصادرة عن جامعة إب 1998م، وخلص فيه الباحث إلى ضعف الروايات الواردة في ذلك سنداً ومتنا، يمكن مراجعته لمن أراد الفائدة.

14) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (7 / 370)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر، ط / 2، 1420هـ، 1999م.

15) تفسير السعدي ص 799.

16) تفسير السعدي ص194.

17) الحديث باللفظ المذكور أخرجه أحمد في مسنده 1 / 229 رقم 2023، وفي سنده ضعف، وأصل الحديث في الصحيحين، فقد أخرجه البخاري 4 / 1677 رقم 4315 في كتاب التفسير، عن ابن عباس رضي الله عنهما: **"ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا"، قال: قال ابن عباس: كان رجل في غنيمة له فلحقه المسلمون، فقال: السلام عليكم، فقتلوه وأخذوا غنيمته، فأنزل الله في ذلك إلى قوله: "تبتغون عرض الحياة الدنيا" تلك الغنيمة**، قال: قرأ ابن عباس: **"السلام"**، وبنحوه أخرجه مسلم 8 / 243 رقم 7733 في كتاب التفسير.

18) إضم -بكسر الهمزة وفتح الضاد- اسم جبل، وقيل: موضع. النهاية في غريب الحديث والأثر مادة (أضم)، وهو وادٍ بجبال تهامة، وهو الوادي الذي فيه المدينة... قال ابن السكّيت: إضم وادٍ يشقّ الحجاز حتى يفرغ في البحر. ينظر معجم البلدان، ياقوت الحموي (ص: 214، 215) [دار الفكر – بيروت].

19) مُتَيَّع ووَطْب: المتيع: تصغير متاع، والوطب: الزق الذي يكون فيه السمن واللبن وهو جلد الجذع فما فوقه، وجمعه. أوطاب ووطاب النهاية في غريب الحديث والأثر (5/ 203).

20) أحمد بن حنبل، المسند 6 / 11، 23927، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده محتمل للتحسين، وحسنه الألباني في السلسلة الضعيفة، تحت حديث رقم 4109. [سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، الألباني، ط / أولى، دار المعارف – الرياض – السعودية، 1412 هـ / 1992 م].

21) أخرجه البزار في مسنده برقم 5127 [مسند البزار (البحر الزخار)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وآخرين، مكتبة العلوم والحكم – المدينة، ط / الأولى 1988 م – 2009 م]، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة حديث رقم 4109 من جهة إسناده، وقال: وفي متنه زيادات لم ترد في الطريق الصحيحة عن ابن

عباس...، وقد أخرجه البخاري في صحيحه معلقاً مختصرا مقتصرا على الجزء الأخير منه فقط. وانظر: صحيح البخاري 6 / 2518 تحت حديث رقم 6472 في أوائل كتاب الديات. [تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط/ الثالثة سنة 1407هـ - 1987م].

22) سيد قطب، في ظلال القرآن (2 / 737)، دار الشروق – بيروت، ط / السابعة عشر، 1412 هـ.

23) تفسير ابن كثير 7 / 377.

24) قصة حاطب بن أبي بلتعة أخرجها البخاري في عدة مواضع منها 3 / 1095 رقم 2845 كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس، وقول الله تعالى: **" لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء "** [الممتحنة: 1]، وفي كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدراً 4 / 1462 رقم 3762، وأخرجها مسلم 7 / 167 رقم 6557 في فضائل الصحابة باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم. **وفيها من الفوائد:** أن النبي ﷺ تثبت من خبر تلك المرأة عن طريق أوثق طرق التثبت، وهو الوحي، ومع ذلك تثبت من الأسباب التي دفعت حاطبا ﷺ إلى ارتكاب هذا الخطأ، بقوله: **" ما حملك على ما صنعت؟ "**، فقد يكون له عذر شرعي حمله على ذلك، فينظر فيه، ثم إنه وازن بين حسناته وسابقته في الإسلام وبين هذا الخطأ الذي ارتكبه لسبب لا يكفي أن يكون مبررا له في خطئه، فقال: **" أليس من أهل بدر؟ لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: افعلوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرت لكم "**.

25) أخرجه البخاري 5 / 1976 رقم 4849 كتاب النكاح، باب لا يخطب من خطب أخيه حتى ينكح أويدع، وأخرجه مسلم 8 / 10رقم 6701 في البر والصلة، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس..

26) تفسير السعدي ص 355.

27) الآلوسي، روح المعني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (7 / 399) تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط / أولى 1415 هـ.

28) تفسير ابن كثير 2 / 365.

29) ينظر: تفسير السعدي ص 190.

30) ينظر: تفسير السعدي ص 563.

31) تفسير السعدي ص 563.

32) وينظر: تفسير الطبري 20 / 327، وتفسير السعدي ص 671.

33) تفسير السعدي ص 457.

34) جزء من حديث أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه ومنها 5 / 2240 رقم 5672 كتاب الأدب، باب: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره"، وأخرجه مسلم 1 / 49 رقم182 كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، من حديث أبي هريرة ﷺ، وأخرجه البخاري في الموضع السابق برقم 5673، ومسلم في كتاب اللقطة، باب في الضيافة ونحوها 5 / 137 رقم 4610 من حديث أبي شريح العدوي ﷺ.

35) المتشبع.. أي المتكثر بأكثر مما عنده يتجمل بذلك، كالذي يرى أنه شبعان، وليس كذلك، ومن فعله فإنما يسخر من نفسه. وهو من أفعال ذوى الزور، بل هو في نفسه زور: أي كذب. النهاية في غريب الحديث والأثر مادة (شبع).

36) أخرجه البخاري 5 / 2001 رقم 4921 كاب النكاح، باب المتشبع بما لم ينل وما ينهى من افتخار الضرة، عن أسماء: أن امرأة قالت: يا رسول الله، أن لي ضرة فهل علي جناح إن تشبعت من زوجي غير الذي يعطيني، فقال رسول الله ﷺ: "المتشبع بما لم يعطي كلابس ثوبي زور"، وأخرجه مسلم 6 / 169 رقم 5706، في كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن التزوير في اللباس وغيره والتشبع بما لم يعط، وأخرجه أيضا من حديث عائشة برقم 5705.

37) سبق تخريجه.

38) المطية: هي الناقة التي يركب مطاها: أي ظهرها. النهاية في غريب الحديث والأثر مادة (مطا)، ومعناه أن الرجل إذا أراد المسير إلى بلد والظعن في حاجة ركب مطيته، وسار حتى يقضي أربه، فشبه ما يقدمه المتكلم أمام كلامه ويتوصل به إلى غرضه- من قوله: "زعموا كذا وكذا" بالمطية التي يتوصل بها إلى الحاجة. النهاية في غريب الحديث والأثر مادة (زعم).

39) سيأتي تخريجه قريباً.

40) **أفرى الفرى**: الفرى: جمع فرية وهي الكذبة، وأفرى: أفعل منه للتفضيل: أي من أكذب الكذبات أن يقول: رأيت في النوم كذا وكذا ولم يكن رأى شيئا، لأنه كذب على الله، فإنه هو الذي يرسل ملك الرؤيا ليريه المنام. النهاية في غريب الحديث والأثر مادة (فرا).

41) صحيح البخاري 6 / 2582 رقم 6636 كتاب التعبير، باب من كذب في حلمه من حديث ابن عمر.

42) تفسير ابن كثير 5 / 75. والحديث في صحيح البخاري 6 / 2581رقم 6635 كتاب التعبير، باب من كذب في حلمه، عن ابن عباس مرفوعا، ولفظه: «**من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل، ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون أو يفرون منه صب في أذنه الآنك يوم القيامة، ومن صور صورة عذب وكلف أن ينفخ فيها وليس بنافخ**».

43) سنن أبى داود 4 / 449 رقم 4974 [سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر – بيروت]، وأخرجه أحمد 5 / 401رقم 23451 مترددا بين كونه من حديث أبي مسعود أو من حديث حذيفة، وأخرجه أحمد 4 / 119 رقم 17116من حديث أبي مسعود بدون تردد، والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم 866 [سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، مكتبة المعارف – الرياض، 1415 هـ - 1995 م].

44) محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب (13 / 214)، عون المعبود شرح سنن أبي داود، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، 1415هـ.

45) الإمام البغوى، شرح السنة، (12 / 362)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي - دمشق - بيروت - 1403هـ - 1983م، وستأتي أحاديث تؤكد هذا المعنى.

46) السلسلة الصحيحة تحت حديث رقم 866.

47) الحديث أخرجه مسلم في المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، من حديث حفص بن عاصم مرسلاً، ومن حديث أبي هريرة مرفوعاً، باللفظ المذكور، ثم أخرجه عن عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود موقوفا عليهما، بلفظ: بحسب امرئ من الكذب أن يحدث بكل ما سمع، وأخرج عن مالك قال: اعلم أنه ليس يسلم

رجل حدث بكل ما سمع، ولا يكون إماماً أبداً وهو يحدث بكل ما سمع، ونحوه من كلام عبد الرحمن ابن مهدي.

48) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم 1 / 75، [المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، ط / الثانية، دار إحياء التراث العربي – بيروت].

49) صحيح مسلم 1 / 8 رقم 10، 12. [تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت]

50) ينظر: صحيح مسلم 1 / ص 7 رقم 1 المقدمة، أخرجه من حديث سمرة بن جندب والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما بهذا اللفظ، والحديث بلغ مبلغ التواتر بألفاظ أخرى متقاربة مخرجة في كتب السنة.

51) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم 1 / 66.

52) ينظر: ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (1 / 38 – 40)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري.، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، سنة 1387هـ.

53) ينظر: عون المعبود 13 / 215.

54) السعدي، الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة ص 234، دار المنهاج – القاهرة، الطبعة الأولى، 1426 هـ – 2005 م.

55) جزء من حديث أخرجه البخاري 1 / 465 رقم 1320 كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، وأخرجه مختصرا في كتاب التفسير 5 / 2262 رقم 5745.

56) صحيح مسلم 1 / 72رقم 309 كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية وتنفيق السلعة بالحلف، وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم.

57) ينظر: محمد الغزالي، خلق المسلم ص 37، 38 المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.

58) أخرجه مسلم 5 / 130رقم 4578 باب النهى عن كثرة المسائل من غير حاجة والنهى عن منع وهات وهو الامتناع من أداء حق لزمه أو طلب ما لا يستحقه عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **"إن الله يرضى لكم ثلاثا، ويكره لكم ثلاثا، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال"**، وأخرجه في 5 / 130 رقم 4580 عن المغيرة بن شعبة عن رسول الله ﷺ قال: **"إن الله عز وجل حرم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنعا وهات، وكره لكم ثلاثا: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال"**.

59) أخرجه ابن ماجه 2 / 1315 رقم 3976 [سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت]، والترمذي 4 / 558 رقم 2317 عن أبي هريرة موصولا مرقوعاً، رقم 2318 عن علي بن حسين مرسلاً، [سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت]، والمرسل أخرجه أيضا مالك في الموطأ رقم 3352 [بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبع دار إحياء التراث العربي ـ مصر]، والحديث صححه الألباني.

60) الصواب فيه: إن الله " ستير "، وهو ما ورد به الحديث، كما في حديث يعلى أن رسول الله ﷺ رأى رجلا يغتسل بالبراز بلا إزار، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال ﷺ: **" إن الله عز وجل حيي ستير يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر "** الحديث في سنن أبي داود 4 / 70 رقم 4014، وصححه الألباني.

61) محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (2 / 498).

62) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد لعلي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث ، دار الكتاب العربي، القاهرة، وبيروت، سنة النشر: 1407هـ (4 / 363رقم 7040)، وأورد بعده برقم 7041 عنه بلفظ: «**من ذكر امرأ بشيء ليس فيه ليعيبه به حبسه الله في نار جهنم حتى يأتي بنفاذ ما قال فيه**»، وقال: رواه كله الطبراني في الكبير، وإسناد الأول فيه من لم أعرفه، ورجال الثاني ثقات. قلت: وقال المناوي: بإسناد فيه مجاهيل. ينظر التيسير بشرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي (1 / 835)، مكتبة الإمام الشافعي – الرياض – 1408هـ – 1988م، ط 3. قلت: وفي المستدرك 4 / 353 رقم 7893 عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من شان على مسلم كلمة يشينه بها بغير حق أشانه الله بها في النار يوم القيامة**»، وصححه، وقال الذهبي: سنده مظلم [المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، (321هـ – 405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ط / الأولى سنة 1411هـ – 1990م]، وأخرجه البيهقي في 12 / 159 رقم 9211 بلفظ: **"من أشاد على مسلم عورة يشينه بها بغير حق شانه الله بها في الحق يوم القيامة"**، قال أبو عبيد: قوله: " أشاد " يعني: رفع ذكره بها، ونوه به، وشهره بالقبيح. قال المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير 2 / 771: بإسناد ضعيف لضعف ابن ميمون القداح، وقول المؤلف: حسن، فيه نظر، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير رقم 5417.

63) عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، (3 / 188)، المكتبة التجارية الكبرى –مصر، ط/ أولى، سنة 1356هـ، والحديث سبق تخريجه.

64) تاريخ ابن خلدون 1 / 35، دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الرابعة.

65) تفسير السعدي ص 339.

66) درء تعارض العقل والنقل (1 / 283)، دار الكنوز الأدبية – الرياض، 1391، تحقيق: محمد رشاد سالم، والحديث في مسند الشهاب برقم 1080 و 1081 من حديث هلال بن العلاء ثنا أبي ثنا عمر بن حفص العبدي عن حوشب ومطر الوارق عن الحسن عن عمران بن حصين قال: أخذ رسول الله ﷺ بطرف عمامتي فقال: **"يا عمران، إن الله تبارك وتعالى يحب الإنفاق ويبغض الإقتار، فأنفق وأطعم ولا تصر صرا فيعسر عليك الطلب، واعلم أن الله يحب البصر النافذ عند مجيء الشهوات، والعقل الكامل عند نزول الشبهات، ويحب السماحة ولو على تمرات، ويحب الشجاعة ولو على قتل حية"** [مسند الشهاب، محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي، توفي سنة 454 هـ، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة –بيروت، ط / الثانية سنة 1407 هـ ، 1986 م]، والحديث ضعفه العراقي في المغني عن حمل الأسفار في الأسفار رقم 4299، مكتبة طبرية، الرياض، 1415 هـ – 1995 م، تحقيق أشرف عبد المقصود.

67) صحيح البخاري 5 / 2357 رقم 6049، كتاب الرقاق، باب ما جاء في الصحة والفراغ وأن لا عيش إلا عيش الآخرة من حديث ابن عباس.

68) البغوي، معالم التنزيل، (4 / 39)، تحقيق محمد عبد الله النمر وآخرين، دار طيبة للنشر، ط / الرابعة، 1417 هـ - 1997 م.

69) صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، ص 121 [المكتبة العصرية – بيروت 1421 هـ، 2000 م]. وقصة الطفيل بن عمرو الدوسي في معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني رقم 3500 [تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى 1419 هـ - 1998م]، وسيرة ابن هشام 1 / 382 وما بعدها [السيرة النبوية لابن هشام (ت: 213 أو 218 هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت]، وقصة ضماد الأزدي في صحيح مسلم 3 / 11 رقم 2045 في كاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة.

70) الرحيق المختوم (ص 75)، وحديث سجود النبي ﷺ مع المؤمنين والمشركين في صحيح البخاري 4 / 1842 رقم 4581، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: **سجد النبي ﷺ بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس**، وقصة الغرانيق أخرجها الطبراني في المعجم الكبير 12 / 53 رقم 12450، والبزار 2 / 193رقم 5096، وقد ألف الألباني رسالة خاصة لبيان بطلان هذه القصة وجعل عنوانها: نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق، نشرها المكتب الإسلامي _ بيروت سنة 1417 هـ - 1996 م.

71) تفسير الطبري 7 / 255، 256،والرحيق المختوم ص 242، 243.

72) تفسير ابن كثير 2 / 128.

73) تفسير السعدي ص 150، 151.

74) يدربون طرقهم: يسهلون طرقهم من أجل السير إلى المسلمين.

75) قبيلتان من هذيل سبق منهما الغدر بأصحاب النبي ﷺ في ذات الرجيع.

76) الصلابي، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، (3 / 327)، دار المعرفة –بيروت، ط / السابعة، 1429 هـ - 2008 م]، وينظر الرحيق المختوم، ص 277.

77) ينظر: تفصيل حادثة الأفك في صحيح البخاري 4 / 1517 رقم 3910 كتاب المغازي، باب حادثة الإفك، وكتاب التفسير، تفسير سورة النور 4 / 1774 رقم 4473، 4479، وصحيح مسلم 8 / 112 رقم 7196 كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول التوبة.

78) الرحيق المختوم ص 289، 290، وأصل القصة في صحيح البخاري 4 / 1859 رقم 4617، 4618، 4619، 4620، 4621، 4622، 4624 كتاب التفسير، باب قوله: " إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله " والأبواب التي بعده.

79) ينظر: أبو بكر بن العربي المالكي، العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ص 76، 77 [تحقيق: محب الدين الخطيب - ومحمود مهدي الاستانبولي، دار الجيل بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، 1407هـ - 1987م]. فقد عدد جملة ما أشاعه أهل الفتنة على عثمان ونقموا عليه، وبين بطلان

ذلك، وإن منها ما هو كذب محض وافتراء بين، ومنها ما هو حق ولكن ساءت فهومهم فرأوا الحق باطلا، ومنها ما هو سائغ واجتهاد منه رضي الله عنه كغيره من المجتهدين، قال ابن العربي: قالوا مبعدين متعلقين برواية كذابين: جاء عثمان في ولايته بمظالم ومناكير، منها: ضربه لعمار حتى فتق أمعاءه، ولابن مسعود حتى كسر أضلاعه، ومنعه عطاءه، وابتدع في جمع القرآن وتأليفه، وفي حرق المصاحف، وحمى الحمى، وأجلى أبا ذر إلى الربذة، وأخرج من الشام أبا الدرداء، ورَدَّ الحكم بعد أن نفاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وولَّى معاوية، وعبد الله بن عامر بن كريز، ومروان، وولَّى الوليد بن عقبة، وهو فاسق ليس من أهل الولاية، وأعطى مروان خمس أفريقية، وكان عمر يضرب بالدرة وضرب هو بالعصا، وعلا على درجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد انحط عنها أبو بكر وعمر، ولم يحضر بدرًا، وانهزم يوم أحد، وغاب عن بيعة الرضوان، ولم يقتل عبيد الله بن عمر بالهرمزان "الذي أعطى السكين إلى أبي لؤلؤة، وحرضه على قتل عمر حتى قتله"، وكتب مع عبده على جهله كتابا إلى ابن أبي سرح في قتل من ذكر فيه... ثم أخذ ابن العربي يفند هذه المزاعم ويرد عليها بأحسن الرد وأوفاه... فجزاه الله خيراً.

80) ابن سعد، الطبقات الكبرى، 7 / 166 [دار صادر – بيروت]، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني 9 / 24، [دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الرابعة، 1405هـ].

81) صحيح البخاري 5 / 2377 رقم 6113 كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، وأخرج الترمذي 4 / 559 رقم 2319 من حديث بلال بن الحرث المزني صاحب رسول الله ﷺ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله لها بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه"، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني.

82) وينظر: ابن العربي المالكي، العواصم والقواصم، ص 151 وما بعدها..

83) ينظر: نضرة النعيم 3 / 908. [نضرة النعيم إعداد مجموعة من المختصين بإشراف صالح بن عبد الله بن حميد وآخر، دار الوسيلة – جدة طبعة الثالثة 1425 هـ – 2004 م].

84) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى 10 / 104 رقم 20057 من حديث أنس، وأخرجه أيضا في شعب الإيمان 6 / 211رقم 4058، وزاد: " وما شيء أكثر معاذير من الله، وما من شيء أحب إلى الله من الحمد "، وأخرجه الترمذي 4 / 367رقم 2012 من حديث سهل ابن سعد الساعدي بلفظ: " الأناة من الله، والعجلة من الشيطان"، وقال: هذا حديث غريب، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم 1795.

85) صحيح البخاري 2 / 942 رقم 2518، وصحيح مسلم 8 / 112 رقم 7196 (الحديث سبق تخريجه).

86) الحديث في مواضع من صحيح البخاري منها: 1 / 46 رقم 89 كتاب العلم، باب التناوب في العلم، وهو صحيح مسلم 4 / 192 رقم 3768 كتاب الطلاق، باب الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن.

87) ينظر تفسير ابن كثير 6 / 27.

88) سبق تخريجه.

89) صحيح البخاري 5 / 2261 رقم 5743 كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: **" يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين "** [التوبة: 119]، وما ينهى عن الكذب، وأخرجه مسلم 8 / 29 رقم 6803 كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق.

90) في ظلال القرآن 2 / 267.

91) جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، 3 / 235، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت ط / أولى سنة 1418 هـ.

92) أخرجه مسلم 8 / 21 رقم 6760 كتاب البر والصلة والآداب، باب بشارة من ستر الله تعالى عيبه في الدنيا بأن يستر عليه في الآخرة.

93) صحيح مسلم 8 / 183 رقم 7488 كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء.

94) قال في كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للمتقي الهندي، 3 / 344: أخرجه هناد عن مجمع بن يحيى مرسلا أ.هـ [تحقيق: بكري حياني، وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط / الخامسة، 1401 هـ - 1981 م]، والحديث ضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة رقم 7154، ولكن يغني عنه حديث: «**إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً**»، وقد سبق تخريجه.